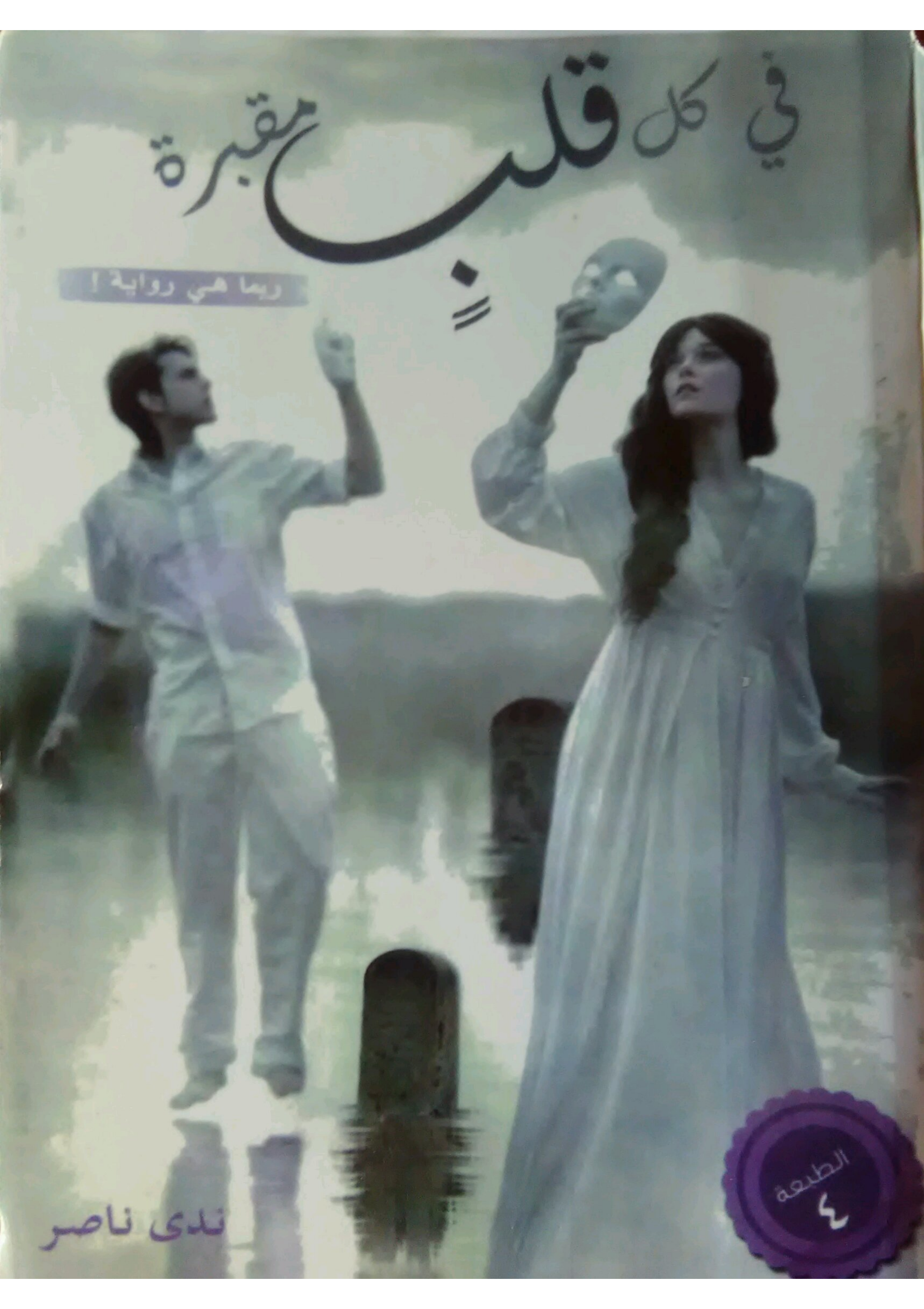

في كل قلبٍ مقبرة
ربما هي رواية !
ندى ناصر
الطبعة ٤

في كل قلبٍ مقبرة

ندى ناصر

إلى فيصل و أثير :

الأمر أشبه بأن نصرخ و على فمنا شريطٌ لاصق ..

أشبه بأن نلاحق أحداً في دائرةٍ لا تكفّ عن الاتساع ..

نركض و يركض في الاتجاه نفسه ..

و بالسرعة ذاتها ..

كنتُ أُعوّل كثيراً على السنوات أن تصنع فارقًا يجمعنا ..

و لم تفعل (بعد) !

أنا هنا أصنع قنطرةً إليكما على ماءٍ آسن ..

أضع مظروفًا تحت أبواب القدر المغلقة ..

أحفر سردابًا تحت مُعتقلٍ أبديّ .. أسواره شاهقة الارتفاع !

أضع لافتةً عند مُفترق طرقٍ مجهولة ..

و سهمًا إلى جواره (أملك) !

تنويه !

المساحات الفارغة هنا .. هي لحظات صمت ..

خروجٌ عن النص ..

نفسٌ عميق أُصحّح به أخطاءك ..

و أُرتّب فوضاك التي تُخلّفها في كل مرةٍ وراءك !

يمكنك أن تملأها بما تشاء ..

(شخوطٌ) مُبهمة ..

عملية حسابية ..

مقادير طبخة .. عنوان .. شتيمة .. نكتة .. أمنية ..

اُكتُب ما تشاء ..

لطالما منحتُك فرصة الحديث والشرح والتبرير والدفاع عن نفسك ..

حتى هنا !

من حقك أن تكتب وصيّتك قبل أن تموت في صدري !

إبهامٌ في فم الذاكرة !

لأننا لا نُدرك كل ما نتمنّاه ..

بل إن كل ما نتمنّاه لا نُدركه غالبًا .. فإني سأكتب ..

هذا الفعل الوحيد الذي لم يحدث أن ندمتُ عليه ..

وهو الفعل الوحيد الذي ينجح كلما جَرَت الرياح بعكسه !

سأكتب بقدر انزعاجي ..

بقدر الأيام التي تنقضي دون اختياري ..

بقدر الوقت الذي يتسرّب من ثقوب انشغالي .. سأكتب ..

لأن الكتابة هي الحبل الذي تعلّقتُ به ذات سقوطٍ و نجوت ..

لأنها اليد التي التقفت يدي لـمّا أفلتني الجميع !

و لا أبالغ إن قلتُ أنه لولا الكتابة لكنتُ الآن في مصحةٍ نفسية ..

أو ربما (زِنزانة) !

فإن لكل فعلٍ ردّة فعلٍ مساوية له في المقدار ..

معاكِسة له في الاتجاه ..

والفعل الذي مُورِس على جسد احتمالي ..

لم يكن يليق به أيّ ردّة فعلٍ أقل من الجنون أو الجريمة !

مازلتُ أُسعِف أحلامي الـمُختنِقة ..

و أُجرِي لها تنفّسًا صناعيًا ..

لتصمد في هذه الأجواء الموبوءة بأكسيد الخطيئة !

و أحد أهمّ أحلامي التي أريد لها أن تصمد هي (أنت) ..

نعم أنت !

أنت الذي أدفعك بعيدًا عني .. ثم أبكي غيابك ..

أنت الذي جعلتُه آخر محاولةٍ لإحياء الحب الميت في قلبي ..

أنت الذي شيّدتُ صروحًا على خارطة أملي به ..

أنت الذي يجمعني به كل شيء ..

ويفصلني عنه (اتصال) !

لاحظ بأني أمارس الحماقة ذاتها ..

و أتوقّع نتيجةً مختلفة !

أنا لا أكتب لأملأ الفراغ . .

إنما أصنع الفراغ لأكتب !

إذا كان أقصر الطرق إلى قلبك المعدة _ أو أسفل منها _

فإن أقصر الطرق إلى قلبي القلم . .

أكره الذين يُصنّفون الكتابة (فضاوة) !

أنا أكتب . . إذاً أنا أصلّي . .

لا تقاطعني !!

متورطةٌ بها !

حتى أن النوم والوظيفة و الأكل و الاستحمام . .

كلها أصبحت (مُعوّقات) . .

أُنجِزها مُكرهةً على عُجالةٍ لأعود إلى الكتابة !

هذا النوع من الكتابة ليس ترفًا . . .

هذا النوع من الكتابة هو بكاء الأصابع . .

إبهامٌ في فم الذاكرة !

صعقةٌ كهربائية . .

كمّامة أكسجين . .

أنبوب يمرّ بالأنف . .

حقنة مُتّصلة بالوريد !

(حانة) . . أملأ فيها كأسًا تلو الآخر . .

وأبتلعها دفعةً واحدة . .

حتى يفقد الحزن وعيه ويسقط ثملاً أمامي . .

أحمله على كتفي و أغادر !

يكتبون ليُصفّق لهم الآخرون ..

و أكتب لأن أحدهم صفّق على خدّي بقوةٍ و رحل ..

يكتبون لتكبر أسماؤهم ..

و أكتب أنا ريثما تكبر أنتَ يا صغيري وتعود !

أرأيتَ الفرق ؟

أكتب لأني فقدتُ صوتي في صرخة الوجع الأخيرة ..

أكتب لأن الكتابة لا تستوجب أن أرفع صوتي لتسمعني ..

و لأنها تجعل بمقدوري أن أنتهي قبل أن تقاطعني ..

و لأنك إن أسأت فهمي .. وجدتُ من يفهمني سواك !

أكتب لأن صوت المرأة عورة !!

أكتب لأن الحياة خارج النَصّ دميمة ..

و لأني أكتب .. غادرني !

تَصَوّر ؟

عندما تُبعث في رأسك الأسئلة الميّتة ..

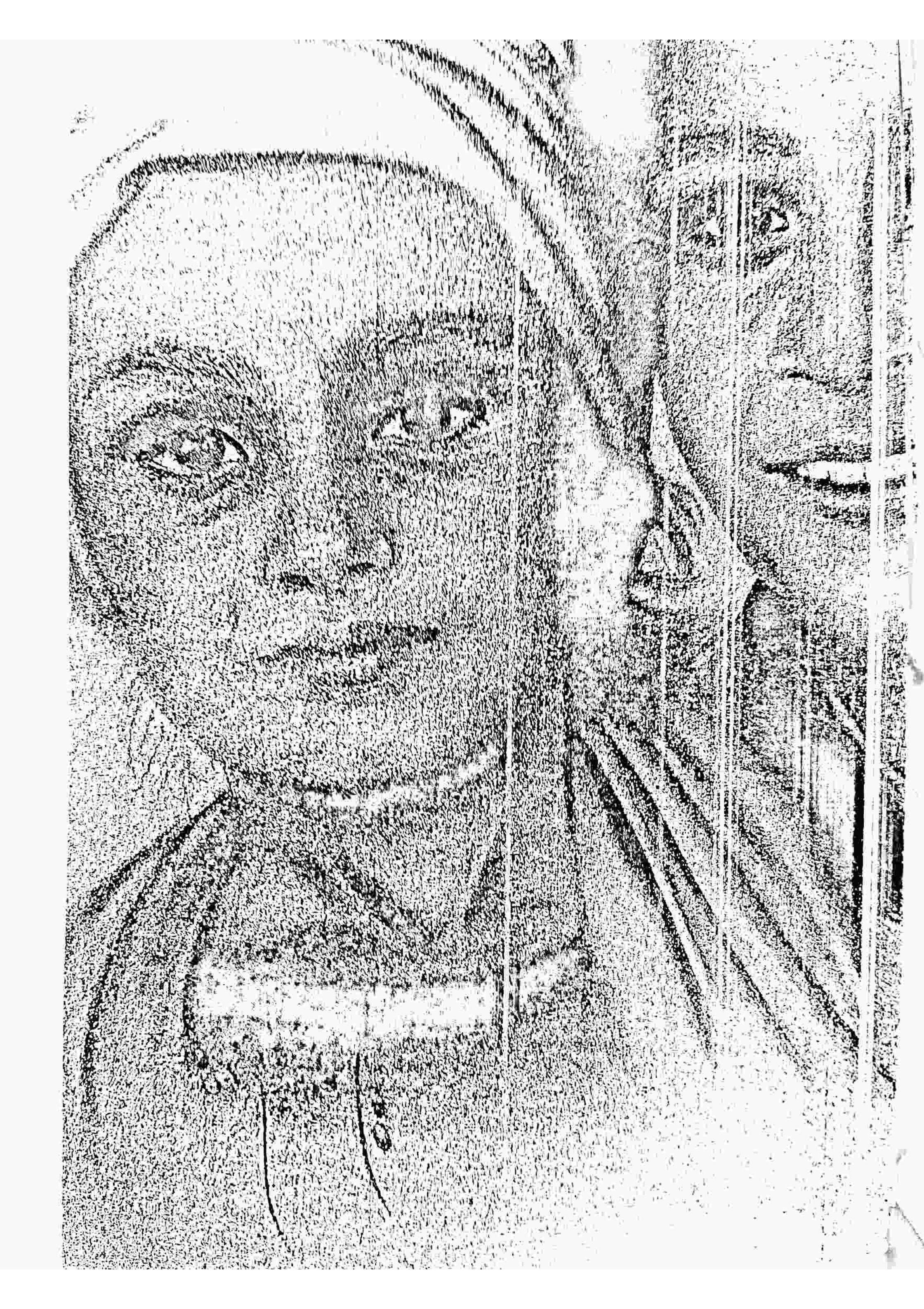
و تطرق نوافذ فضولك بإلحاحٍ مفاجئ ..

و تُحرّك مقابض أبوابك الموصدة بإحكام ..

ثم لا تجد من يُسعفك بإجابةٍ حادة تقتل بها وحشية الموقف ..

ستجدني قد وضعتُ لك هذ الكتاب في إحدى المكتبات !

ياء النداء المبحوحة



لم تنفرج صخرة حزني عليك بعد !

أفتقدك . .

حدّ العزلة . .

حدّ الوحشية . .

حدّ الدعاء !

أُفتّش عنك بذعرٍ و لا أجدك . .

فأتدفّق غضباً بشكلٍ مخيف . .

وتميع الأشياء من حولي . .

و يحترق فراشي . . و تَقْطُرُ ستائري . .

ويسيل وجعي الأسود على الجدران !

ثيابك الصغيرة ستخبرك عن عمر انتظاري ..

معلّقةً على مشاجب حزني الذي لم تهمده السنوات !

تخيّل معي كم كبدٍ سأمزّقها و ألوكها بين أضراسي ..

لستُ هند بنت عُتبة ..

أنا الثكلى التي ناءت بقهرها و انتبذت مكانًا قصيًا !

وهذه الحجرات الموصدة في صدري يا صغيري ..

تسكنها أشباح فقدي التي تزاوجت و أنجبت قبائل من الوجع ..

ستثأر لحزني وتأتيني برؤوس الظلم مُكوّمةً في زنبيل !

مازلتُ أحتفظ بمصروفك منذ أن كان لون الريال (رماديًا) ..

تعال نستبدله بريالاتٍ خُضر !

تعال نتصدّق به ..

تعال نشتري به حلوى لطفلٍ يتيم !

مازلتَ ساق الفرح المبتورة ..

تعرج في غيابك أيامي وأعيادي ..

و تتوكّأ على عكّازين : (علّ) و (عسى) !

لأنه عيد الأم ..

و لأني مكتوبةٌ في وثيقة ميلادك (أمك) ..

أمك التي لا تعرف وجهك !

ألن ترسمني في كراستك دائرةً لها نقطتين ..

وفماً مبتسماً إلى جانبه (أمي) ؟

لأنه عيد الأم ..

ألن تفعل أمرًا خارقًا ..

وتقول شيئًا كـ (أحبكِ) ؟

_ بصفتي أمك التي لا تعرف أين أنت _

ألن تخرج من صومعة صمتك ..

وتُوقف هذا النزيف الذي انفجر منذ غيابك ..

وتفعل بوجهك الناعم الصغير مالم يفعله ذوو الشوارب ؟

حلم التخرّج ..

وحلم الوظيفة ..

وحلم الثراء ..

وحلم السفر ..

وحلم الزواج ..

وحلم الطفل الأول ..

كلها أحلامٌ تقليدية ..

لا تعادل حلمي بلقائك ولو كان صدفة !

أتعمّد التأخير عن عملي ..

لأشهد الطابور الصباحي لأقرانك في مدرسةٍ مجاورةٍ من خلف السياج ..

و أتخيّل أنك مثلهم في مكانٍ آخر تردّد النشيد الوطني ..

و تتذكّرني !

هل تتذكرني ؟

لا تقل (لا) ..

(لا) منكَ أنتَ تحديداً ليست لام و ألِف ..

(لا) .. هي أذرعة مقصّ ..

تنغلق بلا رحمةٍ على خيوط الأمل التي مددتُها إليك !

اشتقتُ إليك حدّ الإجرام !

حدّ دعوةٍ لا تضِلّ طريقها في جُنح الظلام ..

اشتقتُ إليك حدّ أن أقف على سور السطح أناديك ..

فيجتمع الناس والشرطة والصحافة !

اشتقتُ إليك حدّ أن ينبت لي شاربًا ..

و أثأر لقلبي من حُكمٍ لم يُطبَّق فيه القرآن !

أولئك المعتكفون في محراب ابتلائي ..

الذين يتلون أوجاعي ..

المتربصون بضعفي ..

المتصيّدون لثغراتي ..

المتأبّطون شراً ..

أخبرهم بأني أمك !

أولئك الذين يعيثون في قلبي فساداً ..

أخبرهم أنك لم تُبقِ على حزني ولم تذر !

منذ أن فارقتُك وأنا امرأةٌ بلاستيكية ..

أتأمّل الراحلين ببلادة ..

يستفزون حزني و غضبي ..

و يرتطمون بتصخّري !

أبتسم للأشياء بعدك باشمئزاز ..

و كأنما غيابك مزحةٌ ثقيلة ..

تستخفّ بها الحياة دمها و تكركر !

ماذا كنتَ تتوقع مني أن أفعل حِيال فقدك ؟

أزجّ بكرامتي في أفرانهم ؟

أتمدّد كبساطٍ تحت نِعال أفكارهم المتّسخة ؟

أبيتُ عند عتبات عقولهم المغلّقة بأقفالٍ صدئة ؟

ماذا كان يتوقع مني هذا العالم السخيف حِيال فقدك ؟

أتزوّج مرةً أخرى وأُنجِب سواك ؟

أعتكف في ركنٍ قصيٍّ من الحياة وأبكيك ؟

أنا أشقّ طريقًا آخر إليك . .

لا يتقاطعِ مع حفرة القضاء . .

ولا يتعثّر بوحشيّة المتحلّقين حولك !

عندما ظللتُ الطريق إليك ..

جعلتُ الطريق إليَ معروفًا .. لربما تجدني أنت !

لم تكن آخر أحزاني ..

لكنك كنتَ أكبرها ..

كنتَ الباب المخلوع الذي تدافعت منه المكاره !

أحتضنك في المنام كما لم أحتضنك في اليقظة ..

و أستعين بالأقراص المنوّمة أحيانًا لأتقصّى أخبارك ..

تأمّل كيف يوقظني منامي ..

كيف لازلتُ أنهض من فراشي ..

أفتح أبواب الحجرات وأناديك !

ثم أنطفئ شيئًا فشيئًا ..

وترتخي أصابعي الثائرة ..

و يخفت صوت الضجيج الذي يُحدِثه صراع أفكاري ..

كل المشاهد السيئة تبدو تافهة من بعدك وضبابيّة !

لو أن الله لم يخلقني امرأةً ..

لتمنيتُ أن يخلقني (شجرة) !

أنبتُ عند بابك ..

فأراك كل فجرٍ وعلى ظهرك حقيبة ..

تعود أحمر الخدّين في الظهيرة ..

تلهو مع رفاقك حولي ..

وتصطاد عصفوراً على غصني ..

وتحفر حرفًا على جذعي ..

وتدفن سراً في تربتي ..

وتلاحق دودةً تزحف نحوي ..

و تتبوّل خلسةً خلفي !

وتكبر .. وأكبُر .. وأشيخ فلا أنحني ..

وأموت عند بابك واقفة !!

عُصبةٌ سوداء يشدّها على عينيكَ بإِحكامٍ . .

و يقودك خلفه إلى أماكن تجهلها . .

نكايةً بي . . ليس إلا !

عندما يُدحرِجك نحوي كصخرةٍ ضخمة . .

لن أتنحّى جانبًا . .

سأتمدّد كطريقٍ منحدر . .

و أحتضنكَ و لو كنتَ قاتلاً !

انعزلتُ ذات ظهيرة ..

أكتب إليك رسالةً طويلة ..

بيدين مرتعشتين ..

وأكمامٍ مبلّلةٍ أطرافها ببكاء ..

ولـمّا فرغتُ منها ..

لم أجد لك عنوانًا أبعثها إليه !

لو أنك لم تغادر ..

لو أنك الآن إلى جانبي ..

لو أنك تتفقّد أمر الجنة المنسية تحت أقدامي ..

لأعفيتني من كل هذا الأسى ..

و كفيتني كثيراً من الأذى الذي طالني في غيابك !

أنا يا صغيري نائمةٌ منذ سنوات ..

و ما أكتبه إليك هو كابوس فقدك الذي لم يوقظني منه شيءٌ بعد !

لا تكترث لشأن الفتحة أو الكسرة على ضمير المخاطب فيما أقول..

كل ما أكتبه هنا يحتمل التأنيث والتذكير!

نوعٌ من الازدواجية اللامقصودة..

تلك التي تحدث عندما تخاطب توأمين غائبين..

بصوتٍ أنهكه النداء!

تلك المرأة التي تجلس خلفكِ ..

و تُخبّئ وجهها تحت النقاب ..

هي أنا !

التي تنشج بصمتٍ ..

وتتحسس شعركِ خِلسةً دون أن تشعري وتقرّب إليه أنفها ..

هي أنا !

التي تتظاهر بالتفتيش في حقيبتها كلما التفتِّ إليها ..

هي أنا !

التي تراقبكِ من نافذة الباب الزجاجية في حصة اللغة الانجليزية ..

وتتأمل وجهكِ المتململ ..

وظهركِ المنزلق ..

و ضفيرتكِ الجانبية ..

ومريولكِ الأخضر القاتم .. هي أنا !

التي تقف عند منعطف الممر ..

تنتظر مرورك ..

هي أنا !

التي تشتري الهدايا ..

و تتّفق سراً مع معلمتكِ لتقدمها إليكِ بأيّ حجةٍ كانت .. هي أنا !

كنتُ هنالك .. في ركن المكان ..

أراكِ من حيث لا تشعرين ..

على بُعد سنتيمترات فقط من كتفكِ الصغير ..

أخشى إن أسفرتُ عن وجهي حينها واحتضنتُكِ كما في كل مرةٍ

تختفين !

كرةٌ من الحزن عالقةٌ في حلقي ..

لا يُزحزِحها البكاء !

كان حذاؤكِ حين افترقنا مقاسه سبعة وعشرون . .

كم أصبح الآن ؟

سؤالٌ كهذا أجهل جوابه يجعل مني امرأةً شرها مستطير . .

وخاتمتها إعدام !

في آخر لقاءٍ لنا ..

صنعتُ لكِ جديلةً طويلة ..

نقضتُها مرتين لأتأخر خلفكِ فلا ترين دموعي ..

بينما كنتِ تقضمين أظافركِ وتراقبين الباب !

أوَ تذكرين ؟

تراقبين أجراسهم التي تُعلِن انقضاء الزيارة ..

و تأمر بانفضاضنا !

لتكبرين في مدينةٍ أخرى ..

و تواجهين الحياة بأمٍ مستعارة ..

فقط لأن أحدهم أراد أن يؤلمني !

تبتلعكِ الرياض ..

وتربت على صحاريها وتتجشّأ ..

غيابكِ ليس منامًا لأنفث عن يساري ..

غيابكِ -حقيقةٌ لن يغيرها بكائي !

صوركِ المعلّقة على حائطي ..

تأخذني إلى مشوارٍ طويل ..

حدّ أن أخالكِ ترمشين ..

تضحكين ..

تتثاءبين ..

ثم أدفن فمي في وسادتي وأصرخ !

مازلتُ أحتفظ بدميتكِ عارية !

منزوعة اليد ..

بجديلةٍ واحدة ..

تعالي نُعِد يدها ..

و نحيك لها ثوبًا جميلاً ..

و نكمل جديلتها الثانية !

تتضاءل الأحزان مع الوقت ..

و يخفت صوتها ..

إلا حزنكِ !

يكبر معي مثلما تكبرين بعيداً ..

و يَخشُن صوته ويجأر !

أيكما الآن أكبر ؟

أنتِ أم وجعي ؟

أيكما أطول ؟

أنتِ أم انتظاري ؟

أتذكركِ حين أبحث عن قرطي الثاني ..

أتذكركِ حين أقطع خيط الإبرة ..

حين أستبدل بطارية الساعة ..

حين أنفض فراشي لأنام !

أتذكركِ حين تومض الإشارة بالأصفر ..

حين يطرق المتسوّل زجاج السيارة ..

حين أدفع أجرة السائق ..

حين تموء قطة ..

حين يرنّ الهاتف ..

حين يُقرع جرس الفسحة ..

حين أنظر إلى وجهي في المرآة !

أتذكركِ ..

حين تصدح المآذن بالأذان ..

حين أضع رمز القفل على الشاشة ..

حين أفتح مِقبَس الضوء ..

حين أُذيب السكر في القهوة !

أتذكركِ ..

حين ينوح على نافذتي الحمام ..

حين يبكي طفل الجيران ..

حين أرجّ عبوّة الحليب ..

حين أكشط بطاقة الشحن !

حين أُقبّل رأس أمي ..

و أشتاقكِ ..

حدّ أن يتنحّى الشيطان جانبًا ..

وتنتحب معي الملائكة !

لا يغرنّكِ صمتي وهدوئي ..

في صدري عويل مجاعة ..

أمةٌ من الحزن ناقمة !

ناقصة عقلٍ ودين

من قال أني حزينة ؟

لستُ حزينة !

أنا فقط أقيس قُطر الفوّهة في صدري ..

و أُنصِتُ إلى صوت الرياح التي تعبرني من خلالها ..

و أُجفّف هذا السائل المنحدر من طرف عيني !

لستُ حزينة ..

أنا الحزن ذاته متنكراً في زيّ امرأة !

أنا القرطاس الذي تُدحرجه الرياح من شارعٍ لشارع ..

أنا الفائض من الإنسانية ..

هل تعرف الإنسانية ؟

تعثّرتُ بثوب حزني الطويل ..

ولم أنهض ..

فدهسني الماضون على عُجالة !

لو أن لأحزاننا أوزان ..

كم يمكن أن يزن حزني الآن ؟

لم يكن يُجدي مع الحياة أن أغضّ بصري عن فواجعها ..

كانت في كل مرةٍ تصفعني ..

وترسم شهقةً على وجه أيامي وتضحك !

وتقسو .. حدّ أن تُصعّر خدّها لتوسلاتي الباكية ..

حدّ أن أتشبّث بطرف ثوبها ..

فتركلني وتمضي !

ربما أبدو جميلةً إذا بكيت ..

فتتعمّد الأيام أن تلكز قلبي وتؤلمني !

الحالمون أمثالي ..

الذين يعيشون فوق السحاب ..

عندما يسقطون .. يأتي ارتطامهم بالأرض مدويًا !

الحالمون أمثالي ..

الذين يحلّقون في سماء خيالهم ..

يعتقدون أن الحب الذي يأتي من النافذة ..

يستطيع أن يطرق الباب ..

ويستمرّ في شقة بالإيجار !

ندى ..

أيتها الطفلة التي تنزوي في خزانة ملابسها وتبكي ..

أيتها الأم التي تبحث عن صغيرها ..

أيتها المرأة الحقيقية في فيلمٍ كرتونيّ ..

أيتها القديمة جداً ..

أيتها المنقرضة ..

لم يعد هنالك من يأبه لعطرك ..

لرسائلك ..

لحزنك ..

لصورك ..

لكراكيبك ..

إنه زمن النقرات ..

نقرة حذفٍ .. ونقرة إضافة !

أيتها الحالمة . .

أيتها المسكينة . .

لا أحد يكترث لشأن وردةٍ حمراء جفّت في حضن كتاب !

إنه زمن الفيس الخجول و الأيقونة الصفراء !!

ولأني جانحةٌ في الحب ..

حدّ أن تدفعني بسرعةٍ على عربة تسوّق ..

أو تنفث بدخانك في فمي حتى يخرج من أنفي ..

أو نستلقي على الإسفلت حتى يقترب صوت شاحنة ..

لن تحتملني !

إذا تصرّفتُ بحكمة ..

وتحدّثتُ بمنطق ..

وعقلي ما يزال حاضراً ومتيقّظًا ..

فاعلم أني لم أحبك بعد !

الحب، جنون ..

قطارٌ في وجه الأعراف !

إبحارٌ بلا مِجداف ..

أغنيةٌ في قاع البئر الجاف !

ولأني المرأة الميزان ..

فإني أقف بين مفترق الطرق طويلاً ..

و أقسى عقوبةً قد توقعها بي .. أن تجعلني أختار !

ولأني أجيد الرسم ..

فإني أقف عند التفاصيل الصغيرة ..

وخطأٌ صغيرٌ جداً .. قد يغير عندي شكل الحكاية !

ولأني امرأةٌ مهووسةٌ بوزنها ..

فإني لا أُعِدّ الحلوى مكافأةً ..

إنما أُعِدّها عقاب !

ولأني ناقصة عقلٍ ودين .. (أحبك) !

ولأني لم أقضِ حوائجي معك بالكتمان .. (فقدتُك) !!

ولأني اعتدتُ على العطاء ..

ولم أعتَد على التلقّي ..

فإني أشعر بالحرج و الامتنان حتى لسائق الأجرة !

أحتاج إلى صفعةٍ تُعيد برمجتي ..

لأشدّ خيط الأنانية الذي تراخى ..

و أزداد لؤمًا في محيطٍ جاحدٍ كهذا !

هذا الشعور بالذنب ..

الذي ينتابني كلما تناولتُ شيئًا من مخزون حقي المكتسب ..

أريد لَكْمَه و تكميمه ..

أريد حقنه بمُخدّر ..

مُرهِقٌ جدًا أن أعيش بمثالية !

دعني أطفئ النور من فضلك ..

ثمّة حقائق لا نراها إلا في الظلام !

معظم المآزق التي وقعتُ فيها ..

حدثت عندما التزمتُ الصمت مجاملةً ..

في الوقت الذي كان ينبغي أن يكون جوابي : (لا) بصوتٍ مرتفع !

لم أعد أحيك لأحلامي ثيابًا مطرزة كما كنتُ أفعل ..

بتّ أكتفي بخروقٍ تستر سَوءَتها حين تنام عاريةً على أرصفة الواقع !

لم أعد أحلم ..

أخشى أن أحلم ..

هل كنتُ سأعرف الخيبة لو أني لم أحلم ؟

أرسم بابًا مواربًا ..

ونافذةً مُشرعةً على جدران سجني !

و أبتسم لحظّي العابس ..

و أدفع بالتي هي أحسن ..

علّه يعود وليًا حميمًا !

مؤمنةٌ جدًا أن القدر لا يلهو ولا يمازحنا ..

و كل صدفةٍ في حياتنا هي من تكتيك القدر !

أتوكّأ على أرشيف تجاربي مع الخير المتنكّر في لباس نقمة ..

لأتجاوز كل مضارعٍ مؤلم ..

وأتفاءل ..

هذا المضيق الذي أعبره لن يدوم ..

ثمّة محيطٌ ينتظرني !

امرأةٌ ذات مخالب و أنياب ..

تتضخّم في صدري أحياناً ..

و تدفعني خلفها لتواجه الآخرين بشراسة ..

لا أحبها !

لكنها على حق !!

تحمل قلبي في كثيرٍ من الأحيان ..

تجتهد في إلهائه ..

تُشير له إلى السماء ..

تُصلّي معه النافلة في جماعة ..

و يردّد خلفها (آمين) !

أن تُهدهِد حزنك !

وتُلهيه بلعبةٍ لها أجراس .. و تُغنّي له ..

وتدسّ وجهك خلف الوسادة ثم تبغتَه وتقول : (بخ) ..

وهو لا يزال ينشج فتحتضنه وتخور معه بالبكاء !

أن تدّعي الزكام ليبدو احمرار أنفك مبرَراً ..

أن تتظاهر برغبةٍ في العُطاس لتبدو دمعةٌ مَرَضيّة ..

أن تقول (بخير) لمن يسألك عن حالك !

أن تكذب و تستأذن للصلاة ..

لجرس الباب ..

للحمام ..

للرد على مكالمة ..

لأي أمرٍ عاجل ..

لتنزوي سريعًا و تواري دمعةً قد تنال من كبريائك ثم تعود !

أن تخلد إلى فراشك مبكراً ..

و توشك أن تكون الثالثة بعد منتصف الليل ..

و أنت، لا تزال تُحدّق في العتمة ..

تلك هي أنا إذا تلقّيتُ صفعة !

هذه هي اللحظة الأصعب على الإطلاق ..

لحظة الاستيقاظ !

لحظة العودة إلى الواقع ..

لحظة أن تتحسس الجانب الفارغ من الفراش ..

وتستعيد الذاكرة !

. .

ثمّة خدعة خارج الحجرة تُدعى (حياة) !

أتحايل على أفكاري لتمنحني ساقًا أقف عليها ..

و أواصل حياتي دون الاعتماد على عكّاز الآخرين !

كلهم يقول : (نفسي .. نفسي) ..

ظننتُ أن هذا حالنا يوم القيامة فقط !

ما زال (حزني) هو العمود الفقري لقلمي ..

دعني أكتب على سبيل إفراغ الذاكرة ..

ماذا يُضيرك لو أفرغتُ ذاكرتي على الورق ؟

إنها جرعةٌ عالية جداً من النسيان !

دعني أجرّب البكاء على سبيل الشفاء ..

الحزن دَيْنٌ لا يُسدّده الضحك !

إذ لم أفسح للحزن مكانًا في مجلسي ..

لن يطرق الفرح أبوابي !

تخيّل قسوة الأيام لو أننا لا نبكي ..

أليس جميلاً أن بمقدورنا أن نبكي ؟

حصة البكاء . .

أغمض عينيك أيها العالم . .

أنا أمارس أمراً تُصنّفه الأعراف (ضَعفًا) . .

و أُصنّفه أنا (شفاء) !

لا أبكي لأستجدي عطفك . .

أبكي لأغتسل منك !

الحزن يُهذّبني كثيراً . .

يعصر أذني بلطفٍ ويوشوشني : (كفى بربّكِ حماقة) !

صوت أمي ..

هو السلّم الوحيد ..

الذي يمكن أن أتسلّقه الآن إلى طابق الأمان العلوي !

اتصال واحد بها ..

يعرج بي إلى سماء الطمأنينة ..

أكوامٌ من الدعوات تخصّني بها ..

لا أحسبني سأشقى بعدها !

أنا لا أعرف أمرًا يجلب الاطمئنان ..

أكثر من صوت مفاتيح أبي العائد من الصلاة ..

و أمي التي لا تزال تقرأ وِرد المساء على سجادتها !

قُبلةً على جبين والدي ..

الذي يتصبّب عرقًا لأجلنا ..

ألعق شفاهي بعدها ..

لأتذوّق طعم العطاء دون مقابل !

هذا العظيم الذي رسمَتْ التجاعيد على وجهه خارطةً ..

نستدلّ بها الطريق إلى حياةٍ كريمة ..

لا نمدّ فيها أيدينا لأحد !

لن تُضيرني أيّ خيبةٍ ما دمتُ أسمع رشفته للشاي ..

و أرمقه مع كل فجرٍ يقرأ القرآن !

(٥) .. في منتصف الحب!

٢٠٩

يحدث أن تصلنا إشارات تنبيه ..

نتغافل عنها و نستمر إلى ما لا تُحمد عُقباه !

تمامًا كأن تجد على جانب الطريق جمجمةً ..

ثم أخرى على الجانب المقابل ..

ثم قطًا منزوعًا !

ثم فردة حذاء ..

ثم قميصًا ممزّقًا ..

ثم أثر دماء ..

أعتقد بأنه من الحماقة أن نستمر !

هذا ما فعلتُه معك عندما لم ألتفت إلى جرائمك السابقة ..

وواصلتُ الحياة برفقتك !

من أسوأ عاداتي ..

أني لا أتخلّص من الأشياء المنتهية ..

قناني العطور الفارغة ..

الأقلام الجافة ..

ايصالات الصراف الآلي ..

فواتير الشراء القديمة ..

وأنت !

لستُ مؤمنةً يا عزيزي ..

لو كنتُ مؤمنةً ما لُدِغتُ من الجُحر ذاته كل مرة ..

كنتُ قد أقسمتُ ألا ينال من قلبي أحد ..

وحنثتُ باليمين ..

أنهكتُ هذه العضلة في صدري ..

حتى صارت مع كل نبضةٍ تلعنني !

ما زلتُ أهربُ من أشباهك ..

كما لو أنهم أمواتٌ خرجوا من القبور ..

لا أسوأ من أن تنحر شعوراً مُشوّهًا يطاردك منذ سنوات ..

وما أن تطمئنّ لموته ..

حتى ترمش عيناه وتعود لأطرافه الحياة !

تجاهل ما سبق وأخبرني ..

كم يلزمني من البكاء لأطيب ؟

وكم من الوقت سأمضي لأتجاوز خيبةً كهذه ؟

ما الذي لو فعلتُه سيعود بي إلى حيث كنتُ قبل أن ألتقيك ؟

سأخبرك أنا ..

إني كمن يمشي طويلاً ليتجاوز الأرض !

أو ينام كثيراً ليستيقظ إلى لأبد !

أُدرِك عبثية ما أقول ..

أنا متعبةٌ وحسب ..

أصفع وجه تفاؤلي الكاذب ..

وأحتضن حُلمي المذعور ..

وأصلي ثم أنام ..

نوم (الحالم) عبادة !

كنتُ قد مددتُ إليك يدي ..

و بقيَت معلّقةً في الهواء !

كنتُ قد سألتُك الحياة ..

وكان جوابك (لا) ..

كنتُ يا عزيزي قد أشعلتُ في عتمة طريقي إليك شمعة ..

فأرسلتَ رياحك !

لم تنتظر لأخبرك أني رأيتك في منام البارحة ..

لم تنتظر لتفرغ زجاجة عطرك الوحيدة ..

لم تنتظر لأهديك كتابًا كنتُ قد اقتنيتُ منه نسختين ..

لم تنتظر لتعرف كيف أطهو الطعام ..

كيف أصنع القهوة ..

كيف أرقص .. كيف أُصفّف شعري ..

كيف أحيك ثيابي ..

لم تنتظر لأرسمك !

كطفلٍ يموت على ظهر لعبة ..

كرصاصةٍ في حفل زفاف ..

كأغنيةٍ توقّفت فجأةً عند ذروة الرقص ..

كأيّ فرحٍ مبتور ..

تمدّ قدمك لتُعرقل أحلامي و تغرب !

أنا الآن لا أكتب إليك ..

لأني أعلم أنك أُمّيٌّ في الحب .. لا تقرأ ولا تكتب ..

إنما أكتب لأتسلّق حبلاً متدليًا من قمّة أسفي ..

علّني أخرج به من فخّ الذاكرة !

كذبك كان يتلخّص في مفردتين : (مستحيل) و (إلى الأبد) ..

لو أنك لم تقلهما .. لاحترمتُك الآن قليلاً ..

لم يكن مستحيلاً أن نفترق ..

ولم تحبني إلى الأبد !

نصبتُك على حقول حكايتي كدميةٍ من الخِرَقِ البالية ..

لأفزِع الطيور التي تحوم في سمائي ..

و أُوهِمها بأن ثمّة رجلٌ يحميني ..

و الحقيقة أني كاذبة !

عندما أحببتُك سابقًا _ ولاحظ كلمة (سابقًا) _

لم أفعل ذلك لأنك الأفضل ..

إنما فعلتُه لأن ما قبلك كان سيئًا جداً ..

حدّ أن كل شيءٍ سواه كان سيبدو جيداً !

لو أني التقيتُك في زمنٍ آخر غير ذاك .. لما أحببتُك ..

كنتُ حينذاك هشّةً ..

كنتُ أغرق .. و أنتَ قشّة !

كنتُ هلعةً حبيسةً .. فظننتُك فوّهة نجاة !

أردتُ أن نجلس على مقعدين متقابلين ..

تفصلنا طاولةٌ صغيرة ..

أدسّ تحتها تشابك أصابعي ..

وقدمي التي لا تكفّ عن الاهتزاز !

و أنظر إليك من مسافةٍ قريبة ..

أستطيع معها أن أرى منابت شاربيك ..

ومسامات أنفك المتعالي ..

وتعرّجات جبينك حين تندهش أو تُقطّب حاجبيك !

أردتُ أن أُعيد النظر إلى شفتيك ..

و أتأمّلها حين تُصيغ أكاذيبك دون أن تتلعثم أو تتعرّق أو حتى ترتعش !

أردتُ أن أختبر عينيك الساقطتين في الامتحان الأول ..

وأسألك عن الحب الذي أقحمتَ في منتصفه (طاء) ..

و أشعلتَه بغيابٍ مفاجئ !

لا أبحث عن إجابة ..

بقدر ما أبحث عن معجزةٍ تُعيد إليّ احترامي لذاتي ..

وتُزيل تفاصيلك العالقة في ذهني كبقعةٍ عصيّةٍ على التنظيف !

فأصافح رجلاً بعدك دون أن يمتدّ إليه سخطي وأعاقبه بفعلتك !

أقول ذلك وأنا أعلم أنه لا شيء سيجعلنا نعود ..

بل لن نعود حتى يلج الجمل في سَمّ الخياط !

ولأني أعلم أن منسوبك من الكبرياء يشبهني ..

فأنت أيضًا لن تأتي ..

الحب والغرور لا يجتمعان !

فقط .. حمّلتُ قلبي وِزْرَ النوايا الطيّبة ..

فحملها كأسفارٍ على ظهر حمارٍ .. خارت قِواه فَربَض !

سَهمك المستقرّ في صدري العاري ليس بطولة !

كنتُ أحسبك لباسي . .

ونسيتُ أن (مِنْ أَزْوَاجِكُم وَ أَوْلاَدِكُم عَدُوّاً لَكُمْ فَاحذَرُوهُمْ)

رأيتُ الناس والأشجار وأعمدة الإنارة تتراجع من حولي . .

فظننتُ أني أتقدّم !

إذ بي أقف في ذات المكان منذ سنوات . .

والعالم من حولي يتحرك باتجاهٍ معاكس !

لا تقلق . .

ثمّة غباءٌ فطريّ . . يقودنا إلى ذكاءٍ مكتسب !

أستطيع أن أتدبّر أمر الخيبة التي لا تُخلّف أطفالاً !

أستطيع أن أتمدّد تحت أسقف حزني المتدنّية جداً و أزحف . .

أتحسس وجهي أمام المرآة . .

أتحدّث إلى لوحة طفلي المعلّقة على حائطي . .

برباطة جأشٍ دون أن أبكي !

أنفض الغبار عن مكتبتي . .

أُعيد ترتيب أدراجي . .

أَحيك معطفًا من الصوف في مدينةٍ لا تعرف الشتاء !

أركض على هذا البساط الأسود المتحرك وألهث حتى أتعرّق ..

أفعل أيّ شيءٍ من شأنه أن يركل الوقت المتثاقل ..

ويستنفد طاقتي !

أنا حزينة .. و أصدق ما أكون إذا صرتُ حزينة !

لم أعد طيبةً بما يكفي لأصافح اليد التي تلطّخت بدمائي ..

لم أعد أتكوّر في خزانة ملابسي إذا تألّمت ..

لم أعد أعتزل الطعام و أصوم عن الكلام و ألتزم الفراش ..

لم أعد أكظم غيظي ..

صرتُ أغضب .. و أصرخ .. و ألكم وسائدي ..

ثم أتسوّق .. و أنفخ بالونة العلك حتى تنفجر ..

غير أني لا أعرف بعد .. كيف أمكر وأكيد !

لم أعد أكترث لبقاء أحدٍ أو رحيله ..

تركتُ للآخرين مهمة الحفاظ عليّ أو التفريط بي ..

انتهت مهمّتي منذ أن شرعتُ لك أبوابي ولم تدخل !

ولأن لانتظاري ساقًا مصابةً بالكساح ..

كان ينبغي أن تقول شيئًا بمثابة (الكرسي) ..

أقاوم به شعور التجاهل و التهميش !

التجاهل بابٌ مفتوحٌ على مصراعيه ..

و يدٌ تشير إلى الخروج فوراً !

البقاء مشروطٌ بالإحسان !

و أنا لستُ بـ (توم) يا حضرة الهارب (جيري) !

(قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً , وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً)

لم يصبر موسى على فعلٍ لا تفسير له ..

فكيف أصبر أنا ؟

الحرب التي تترتّب على الوضوح ..

خيرٌ من السِلْمِ الذي يترتّب على الكذب !

أن تجري دونما وُجهةٍ وتجأر ..

أن تطأ الزجاج حافيًا ولا تشعر ..

أن تستحيل الأصوات من حولك إلى ضوضاء غير مفهومة ..

ذلك هو ذروة الحزن والقهر !

و أنا أيها الشر المنصرف .. مازلتُ كعادتي ..

لا أجيد التعامل مع حزني ..

و أُصوّب رصاصةً نحو رأسي ..

في كل مرةٍ يداهمني فيها الحزن دون أن يطرق الباب !

الجديد في الأمر ..

أن الحزن لم يعد يأخذني إلى صمتٍ و عزلةٍ وبكاء ..

حزني صار يأخذني إلى فتورٍ في يدي ..

و خَدَرٍ في مؤخرة رأسي وغيبوبة !

أعتقد بأنه يجب أن نتوقف !!

أخرج من القِدر التي تطبخني فيها ..

وأجفّف قلبي !

لم تكن نارك التي تشتعل تحتها منخفضةً بما يلائم صبري ..

فاحترقْتُ !

كنتُ فضولاً ليس إلا ..

والفضول ينتهي بمجرد الاكتشاف !

(بُعبُع) الفراق الذي كنتَ تخوّفني به ..

تحسستُ وجهه اليوم ..

و إذ به وديعٌ يلاطفني ويلعق جراحي !

فطويتُ صفحتي معك ..

و أنا الطيبة التي إذا قالت (لا) ..

لا قوةً في الدنيا تُرغمها على قول (نعم) !

أنا أعلم أن ثمّة رجلٌ صادق ..

يستحقّ أن أمنح قلبي معه فرصةً أخرى للحب ..

لكنه بالتأكيد ليس أنت ..

ولو مرّغتَ وجهكَ ندمًا في التراب !

لأن التفاصيل في عُرفك قشٌّ يا عود الثقاب ..

لأن صندوق عرفانك فارغ ..

لأن عين الحق في رأسك مفقوءة !

مشكلتي الحقيقية معك ..

أني إنسانةٌ أكثر مما ينبغي ..

في محيطٍ يُلقّنك طابع البهيمية ..

لا تنبح .. ولا تنعق .. ولا تنهق .. ولا تموء ..

غير أنك تَلِغُ في أيّ إناءٍ و تمضي ..

تحطّ على أيّ غصنٍ ثم تطير ..

تنصرف إذا امتلأ جوفك بلا أدنى ذاكرة أو معروف !

أنا الآن أُقلّص من إنسانيّتي هذه ..

إلى الحد الذي يضمن بقائي على قيد الكرامة !

قد أبدو كأسطوانةٍ اسفنجيّةٍ متدلّيةٍ من السقف ..

لا أتأثر بكلماتك ..

لكنك ما أن تغادر المكان ..

حتى أتهاوى كلوحٍ زجاجيٍّ تهشّم إلى ملليمترات !

هذه ليست بشرة !

وهذه ليست عضلة !

وهذا الجسد الذي يبدو طريًا .. هو في الحقيقة زجاج ..

كل ذلك زجاج !

زجاج أيها المطرقة !!

زجاج أيها الإسمنت !

القارورة التي لم ترفق بها ..

و ألقيتَ بها من عليائك ..

ثم رُحتَ تلتقطها ..

أصبح لشظاياها نتوءات حادة وجارحة ..

لا يمكنك جمعها ببساطة اعتذار !

أسأتَ فهمي !

لم أكن أعني حياة القاضي و الجلاد ..

لم أكن أعني حياة اللص والـمُخبِر !

كنتُ أعني حياةً بسيطة ..

نلعب فيها لعبة الإستغماء ..

ونتعارك بالوسائد ..

ونتراشق بالماء !

توقف عن اللوم ..

اللوم محرقةٌ لأيّ غابة حب ..

مهما تزاحمت أشجارها و تعملقت !!

في كل مرةٍ كانت تسوء فيها الأمور بيننا . . و تجأر . .

و يصل رذاذ لعابك إلى وجهي . .

ونُوشِك أن نفترق . .

كانت الحرية تغمز لي من خلفك . .

و تبتسم بخبثٍ و تُومِئ (تعالي) !

فيغلبني النعاس . .

ذلك الرجل الرمادي الذي يتدخّل كلما تعاركنا . .

و يسحبني برفقٍ إلى فراشي . .

و يُقبّل جبيني . .

و يعتذر نيابةً عن العالم . .

و يمسح على عيني حتى أنام !

من الجيّد أن أنام ..

لأبتعد قليلاً علّك تراني بشكلٍ أوضح ..

نحن لا نستطيع أن نقرأ الورقة الملتصقة بوجهنا !

و المسافة تخلق الاحترام !

إذا لم تكن قادراً على تجنب أخطائك معي ..

فتعلّم إذاً كيف تعتذر بطريقةٍ تلائم حجم أخطائك الجِسام !

ثمّة كلمات لها رؤوسٌ حادة ..

تُحدِث ثقباً في قلبي ..

يتسرّب منه حبك تدريجياً حتى ينتهي !

عندما شكوتُ إليك وجعًا سبقك به رجلٌ قبلك ..

كنتُ أعني أن تُطبّبني ..

لا أن تجرحني بنفس الطريقة !

.

أنا أستمع إليك حين تُسيء إليّ و تؤلمني ..

لأساعد قلبي أن يغادرك معي !

كنتُ أحبك ..

عندما كنتُ أسدّ أذنيه وأنصرف به فور ما تبدأ بالإساءة !

عندما نحتضن جسداً جريحًا ..

لا عجب أن تتلطّخ ثيابنا بدمائه ..

فتشير أصابع الذين وصلوا متأخرًا إلينا بالاتّهام !

ثمّة حجراتٌ موصدةٌ في أمسي بإحكام ..

ما أن تحاول فتحها حتى تجد نفسك منفيًا خارج أسواري !

أسراري ..

لم تكن أسراري ..

كانت صغاري الذين ائتمنتُك عليهم وأضعتَهم !

كنتُ على وشك أن أحبك ..

لولا أنك وطأت فرج الخصوصية ..

وهتكت عِرض الحكاية ..

أيّ رتقٍ هذا الذي سيُعيد بكارة ثقتي بك ؟

جلباب الثقة الذي ألبستُك إياه فضفاضٌ جداً ..

وجسد وفائكَ هزيل !

لعبة السقوط التي تُصِرّ أن نلعبها معًا ليست آمنة ..

و الحبل الذي تشدّه على خصري قبل أن تدفعني للسقوط ..

(أطول) من عمق الهاوية !

كنتُ قد تصالحتُ مع وحدتي ..

ونذرتُ جسدي لهذا الفراش المفرد البارد ..

لماذا جئتَ الآن تبعثرني ..

وتُصفّق في أذن غضبي النائم ؟

ليس ذنبي أنك وصلتَ متأخراً جداً ..

وقد تكوّن على قلبي غشاءٌ شمعيّ ..

لا يعلق بجدرانه أحد !

(الاحترام) : خيطٌ رفيع .. يربط بين قلبين ..

منظومٌ به خرزات كل شعورٍ جميلٍ آخر ..

ما أن يُفلته أحدهما حتى تتناثر خرزاته ويصعب جمعها !

و أنت لم تمسك بطرفِ الخيطِ جيداً !

كنتَ تعوّل كثيراً على تسامحي ..

و تُسرف في الإساءة !

لستُ وحدي ..

مضطجعٌ إلى جانبي (ألمي) ..

صغارِ خيبتي يبكون ..

وكراهتي تصلّي في هذا الضجيج بخشوع !

أجمعِ اعتباري المتناثر ..

و أنخرط في الزحام ..

أستطيع أن أعيش بذراعٍ مبتورة ..

غير أني لا أعيش دون كرامة !

اششششش ..

أنصت إلى صوت الحزن الـمُرتّل ..

ولا تقاطع مراسم تشييعي لأوجاعي !

لم تكن تراني حين كنتُ أركض ..

و أكتم صرخةً و أعضّ على أضراسي ..

كنتُ أفرّ من خيبةٍ أشدّ نكالاً من جلد السياط !

كأن تُفلس من بعد ثراء ..

كأن يأتيك خبر وفاة عزيز ..

كأن تُفصَل للتوّ من عملك ..

كأن يُلقى بفراشك من شرفة ..

كأن يبصق والدك في وجهك ..

كأن تدعو عليك أمك !

تلك هي عصرة وجعي الآن !!

سيحين الوقت الذي لو التقيتُ بك صدفة ..

أستغرق وقتًا لأتذكرك !

و أصافحك مجاملةً بأطراف أصابعي ..

وأنصرف قبل أن تُنهي حديثك !

سيحين الوقت الذي أجدك فيه (متّصل الآن) ..

وأتثاءب و أنام !

سيحين الوقت الذي تصلني فيه رسائلك على الـ Junk Mail ..

وتنتقل تلقائيًا إلى سلة المحذوفات قبل أن أجد الوقت لقراءتها !

سيحين الوقت الذي أشاهدك صدفةً على التلفاز ..

و أنتقل إلى قناةٍ أخرى .. لأشاهد فيلمًا مشوّقًا ..

أتناول المكسرات .. و أنفث قشورك !

كنتُ في يدك كبالونٍ مملوءٍ بالهيليوم !

ما أن أفلتّني . . حتى طرتُ عاليًا في الأفق . .

أنا امرأةٌ لا تسقط إذا أفلتها رجلٌ . .

إنما ترتفع !!

دائمًا أنا على يقين ..

بأن في الحياة لحظة .. تنقلب فيها الأدوار ..

ويتم فيها تصحيح كل ما هو خاطئ !

ولا أحمل همَّ الأيام لأنها تدور ..

حتى الأربعاء فقد هيبتَه !

بعد منتصف الأوان

تمشي الحياة مسرعةً ..

غير آبهة بأعرجٍ .. ولا مُصابٍ ..

ولا مُسنٍّ .. ولا جريح ..

و المتشبثون بها أمثالي ..

تُسحَل وجوههم على نتوءات الطريق !

و في مرحلةٍ ما ..

نجد أننا متورطون في قضايا شائكة لا مناص منها ..

خيار التراجع عنها غير متاح ..

و خياران فقط : إما (الموت) أو (التالي) !

الآن ..

و لأول مرة ..

أنظر إلى دهاليزك من ارتفاعٍ كافٍ ..

أرى معه بوضوحٍ تام كيف جرت اللعبة ..

وأين كان يختبئ كيدك ..

وكيف نصبتَ ليَ الكمين !

أرى حقيقتك بوضوحٍ لا يحتمل بقائي ..

وأغادرك غير آسفة !!

تلك الخيمة البيضاء ..

التي تنصبها لمجرد تاء تأنيث في رسالة مجهولة ..

ربما كتبها إليك (رجل) !

هي اشتهاءٌ مخزٍ و مُخيف ..

يجعلني أحسم المهزلة و أغادر !

كنتَ غبيًا على نحوٍ مُخجِل ..

و أنا امرأةٌ لا تقع في غرام الأغبياء !

أطول مسافةٍ كانت تفصلنا ..

عندما كنتُ أقطع الخيط بأسناني ..

تمامًا بمحاذاة عنقك ..

بعدما أنتهي من تثبيت زر قميصك العلوي ..

قبل أن تصبح وِحدة المسافة بيننا (امرأة) !

كنتُ أعلم أنك مُنسكِبٌ على أي حال ..

لذا تركتُك تملأ كؤوس الفارغات ..

و قلبتُ كأسي على فمها !

أجمل ما في الخيانة ..

أنها تجعلني أمضي إلى أقداري الأخرى غير آسفةٍ !

و حده (الوفاء) الذي كان يمكن يجعلني أموت كمداً عليك !

كان ينبغي أن تكون ذكيًا بالقدر الذي لا يجعلني أكتشف أكاذيبك !

لا أجيد العفو و إن تظاهرتُ به . .

خيبتي ثقبٌ يتسرّب منه الحب مهما بلغ !

فلا تُصدّقني إذا أومأتُ برأسي و قلتُ بأني أصدّقك !

أقولها لتسترسل في أكاذيبك . .

فأرى إلى أين ستصل . .

و إلى أي مدى تستخفّ برقابة الله . .

و تستهين بالجزاء من جنس العمل !

(أحبكِ) .. (أحبكِ) .. (أحبكِ) ..

متى ستُدرك أن هذه الكلمة لم تعد تجُدي معي ؟

و كأنما هي كلمة سر خاطئة ..

تُصِرّ على كتابتها في كل محاولة دخولٍ فاشلة !

و بما أني قد فقدتُ الشعور بكلمة (أحبكِ) ..

و صارت تمرّ على سمعي كما لو أنها بوق سيارة في شوارع مدينةٍ مزد-حمة ..

نغمة نوكيا قديمة ..

مواء قطة ..

فلا تعتذر بها !

يُمنح الرئيس في الدول الديمقراطية أربع سنوات (فقط) ..

على نطاق دولة و ملايين النسمات ..

يتم تجديدها إذا أثبت جدارته للرئاسة مرة واحدة فقط !

أنا منحتُك أكثر مما تمنحه الانتخابات للرئيس ..

على نطاق نسمة (واحدة) فقط ..

ولم تُثبِت سوى فشلٍ ذريعٍ و خيبة !

أحتفظ بالماء في فمي ..

و أتأخر في ابتلاعه ريثما تنتهي من شتائمك و تغادر !

و عندما ينطفئ غضبك .. لا تعود ..

لأن مقعدك لن يبقى شاغراً !

بمناسبة عيد الحب ..

ما رأيك أن نعود أصدقاء ؟

فتخبرني بعدد اللواتي صدّقن أكاذيبك ..

و أكتم سِرّك .. ونضحك !

بمناسبة عيد الحب ..

كم بطاقةٍ ستنسخها اليوم ؟

و كيف ستحتفل مع كل امرأةٍ على حِدة دون أن تشعر بها الأخرى ؟

بمناسبة عيد الحب ..

أين أمسى جسدك الذي لا يتعفّف ؟

و كم وصل عدد قمصانك التي قُدّت من قُبُل ؟

تكرهني ؟

أعرف !

يكره (الدميم) كل أولئك الذين يأتون على شكل مرآة !

أعفيتُك من دور البطولة . .

ومنحتُك دَور البوّاب !

راقب الآن كيف يتدافع الخير على الأبواب من بعدك !

وتأمّل كيف أصنع من أوجاعي سُلّمًا أرتقي به . .

و أنتَ لا تزال في حفرةٍ . . تهرش ذاكرتك وتنبح !

يُسيء الرجل إلى المرأة التي يضمن بقاءها . .

و(المغفرة) دافع لارتكاب المزيد من الأخطاء أحيانًا !

و لأنك تضع الخطيئة بين مرايا متقابلة . .

فإن الأمر يتكرر بلا نهاية !

أغلقتُ الباب الذي كانت تأتيني منه رياحك . .

ونزعتُ جذورك السامّة من أرضي . .

أوَ ليس الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم ؟

لم تستحِ أن تشهر العِداء في وجهي ..

و أنا التي قطعتُ يومًا أعناق المستحيل المتطاولة على حلمي بلقائك !

تمنيتُ أن أبتسم فيما لو نظرتُ إلى الوراء ..

غير أنك جعلتَ من حكايتنا خرابًا يروّعني النظر إليه !

وحتى هذه اللحظة مازلتُ ألتزم الصمت ..

و أنا الحليم الذي لم تتّق يومًا غضبه !

تخيّل لو أني أطلقتُ صفارة الإيذان لجيوش الشرّ في صدري أن تنطلق بربّك .. أيّ هزيمةٍ تلك التي ستبوء بها ؟

لن نصل إلى مكانٍ آخر ..

ما دُمنا نسلك الطريق ذاته ..

سأصنع ثُقبًا في سفينتي ..

سأقتل الغلام ..

سأُقيم الجدار ..

سأفعل ما مِن شأنه أن يجلب الخير المؤجّل !

لا يستحقني الرجل الذي يحفظ أرقامي العشرة في هاتفه باسم

(رجل) ..

و يخاطبني في حضرة الآخرين بصيغة المذكر ..

أنا امرأةٌ خُلِقت للنور !

كنتُ حبيسة وعودٍ صدئة ..

الخروج منها مغامرةٌ ستضعني في مواجهةٍ مع الموت !

أغمضتُ عينيّ بشّدةٍ ..

و ركضتُ مُجازِفة ..

أصرخ لأتجاوز هذا السيل من رصاصك العشوائي !

اطمئنّ !

أنا الآن في الضفّة الأخرى ..

أقرأ الصحيفة ..

و أرتشف فنجان قهوتي ..

و أتذكرك من قبيل الحمد والشكر !

عندما قررتُ أن أرتب حياتي ..

كان لزامًا عليَّ أن أتخلّص من الكراكيب التي تشغل حيزًا من الفراغ

دون جدوى !

فبدأتُ بك !!

نون النشوة

كان شراً لي في ديني ودنياي ومعاشي ..

و عاقبة أمري عاجله و آجله ..

فصرفه الله عني ..

و أبدلني خيراً منه !

لنفترض أني نائمةٌ منذ ساعتين ..

و أن ما أكتبه هنا جزءٌ من الأحلام ..

هنالك في المنام ..

حيث يُرفع القلم ..

حيث يمكنني أن أطير ..

و أمشي فوق الماء !

حيث ألتقي بصغيري .. و أحتضنه ..

حيث تهبط السحب على الأرصفة ..

و تُطلّ نافذتي على المحيط !

حيث اللامنطق .. و اللامستحيل !

لنفترض أني رأيتُك في المنام ..

ترتدي ثوبًا أبيضًا .. و تطوف حول قلبي سبعة أعوام !

لنفترض أن الحب حقيقة ..

و أن الوخزة في ساعدي قبل أن نعقد القِران ..

هي الألم الوحيد الذي طالني معك !

و أن الفساتين التي تملأ خزانتي لم تعد تسعني ..

لأن قدمًا صغيرة تركل خصريي المتكوّر ..

و أنك مبتسمٌ إلى جانبي في لوحةٍ على الحائط !

لنفترض أني أحبك ..

و أن أول وجهٍ أستفتح به صباحي هو وجهك !

صباح (الخير) الذي ادّخره الله لي معك حتى ألقاك ..

صباح القهوة المتبقية في كوبك منذ الأمس ..

أتناولها كوصفةٍ سحرية ..

ينتصب بها ظهر صباحي !

صباح المسافة القصيرة التي تفصلني عنك ..

صباح الأجواء الباردة التي لا تجُدي معها المعاطف إلا أنت ..

صباح المآرب الأخرى التي تعثّرتُ بها منذ أن عرفتُك !

لا أجمل من صباحٍ ترتدي سماؤه فستانها الرمادي ..

و يوقظني فيه صوت المطر ..

تعرف أني لا أُحبّذ اللون الرمادي ..

إلا إذا رأيتُه قاتمًا في السماء ..

أو مُظلّلاً منابت الشعر على وجهك الحليق !

ولا شيء أخشى أن يفوتني إلا صوتك و المطر !

أيقظني إذا أمطرت السماء ..

حتى لو وصل بك الأمر أن ترشق نافذتي بالحجارة !

يلكزني حنينك ..

و يفتح الستائر عن نوافذي المنسية ..

و يشاغب عصياني النائم ..

و يدغدغ باطن قدمه المكشوفة ..

و يجرّ عن قلبي ألحفة الكسل !

متأخرة هذا الصباح كعادتي ..

أستعين على قضاء حوائجي معك بالكتمان ..

أتناولك كما لو أنك جرعة أفيون ..

يهرش الصباح جسده دونك ..

عندما تتقاتل السيارات على العبور ..

في الثواني الأخيرة من الإشارة الضوئية الصفراء ..

أغمض عينيّ و أتذكرك كتمرين (يوغا) .. و أبتسم ..

فتستحيل الأبواق الغاضبة إلى سمفونية هادئة !

يفتح معها الكون ذراعيه ..

ويقف على رؤوس أصابعه استعداداً للرقص !

أصنع القهوة . .

أطالع صحف الأمس . .

أتفقّد بريدي . .

وطفلةٌ شقيةٌ في صدري تعبث بأدراج اشتياقي !

لو أني أجدك الآن هنا . .

في حقيبتي . .

في خزانتي . .

بين دفاتري . .

في أي مكان . .

أُخرِجُك خلسةً و أُقبّلك !

لو أنك مديري في العمل !

لتأنّقتُ بمكرٍ . . و احتفيتُ كل صباح . .

و تلكّأتُ في الانصراف !

يا عقرب الساعة الأطول . .

لو أنني العقرب الأقصر . .

فنلتقي كل ساعة !

.

قلبي الآن يُجري اتصالاً بقلبك . .

هل يصلك رنين الشوق ؟

قد يُرتّب الحب صدفةً في ظهيرةٍ حرارتها 52 درجة ..

لا نُفرّق معها بين حُمرة الشواء .. وحُمرة الخجل !

تعرف جيداً كيف تجعل الظهيرة الحارقة ..

و كأنما هي غائمة ..

و كأنما الشوارع خالية ..

و كأنما الأرصفة مُزهِرة ..

و كأنما الإسفلت أملسٌ أصابه طلّ !

جاء من حيث لا أعلم ..

و تربّع في ركنٍ من حياتي ..

يرفع الإبريق عاليًا ..

و يسكب الشاي في الفنجان البعيد ..

و ينفث قشور الفستق ..

ويقترح لونًا آخر للحائط !

ثم يقتعد مكتبي و يلقي النظر إلى أدراجي ..

و يُجرّب توقيعه بأقلامي على طرف أوراقي ..

و يُشعِل قدّاحتي و ينفثها و يضحك !

أتأمّل عبثه بدهشةٍ و لا أمانع !

أكاد أحبك !

حين أجدك عند منعطف الطريق ترقبني ..

و تتظاهر بانشغالك في مكالمةٍ وهمية !

أكاد أحبك ..

حين أراك في حضرة أصدقائك أوسمهم و أفصحهم ..

تنطلق في حديثٍ طويل ..

و ترمقني بين الحين و الحين !

أكاد أحبك وأنت رجلٌ سياسيٌّ ..

تقنيٌّ .. مسؤولٌ .. ذو منصب ..

تلعب معي لعبة الإستغماء ..

و ترشقني برغوة الصابون .. وتشاركني قراءة الأدب !

أكاد أحبك .. و أنت تستغلّ حاجتي وتورّطي ..

وتخدمني شريطة (قُبلة) !

و أزداد انجذابًا نحوك كلما أفضيتَ إليّ بدمعة ..

و تزداد رجولةً في ميزاني كلما أتقنتَ فنّ الاعتذار !

يفتشون عنك في نصوصي ..

في أدراجي ..

في بريدي ..

في هاتفي ..

في رائحتي ..

في شرودي ..

في لعثمة شفاهي و ارتباك يدي ..

و أخبئك كسجينٍ هارب !

أستعير منك كتاباً قرأتُه الشهر الماضي ..

لا لأعاود قراءته ..

إنما لأتنفّس رائحتك العالقة في أوراقه !

أتُراني أحبك ؟

أتناول ذكرياتي معك كأقراص مسكّنة ..

أقاوم بها منغّصات اليوم !

أتُراني أحبك ؟

وعندما تكون الحاجة التي أرفعها إلى الله في ساعة إجابة ..

هي (أنت) ..

أن يردّك إليّ ردّاً جميلاً يليق بصبر السنين الفائتة !

فهل تُراني أحبك ؟

أظنك رجلٌ معجونٌ بـ (كافيين) !

تفعل بي ما تفعله القهوة ..

لأحرفك أصابع لزجة ..

تُمرّرها برفقٍ على جسد إلهامي ..

فأزفر الكلمات !

ليتك لا تصمت ..

وليت الشمس تتأخر قليلاً ..

وليت الماء لا يغلي .. ومنبّه السابعة لا يرنّ !

مهلاً أيها العالم ..

ثمّة حبٌ في المقعد المجاور !

تنحّ عن مخيلتي قليلاً من فضلك ..

أريد أن أقرأ ..

أريد أن أكتب ..

أريد أن أطفئ النار قبل أن تفيض القهوة ..

أنا شاردة الذهن دوماً يا رجل !

تقتسم معي حزني و فرحي كرغيف ..

في الحزن تمنحني الشقّ الأصغر ..

و في الفرح تمنحني الشقّ الأكبر !

رجلٌ أشبه بالوشم ..

كل ما عداك مجرّد (صبغة) !

تُسافر بي إلى عوالم أخرى خارج حدود المكان ..

أصافح معك ابتلاءاتي ..

و أُقبّل جبين الأحزان !

أينما أكون ..

تُظللني كغيمة ..

تقيني حرّ الأوغاد !

و تنهمر مطراً كلما بكيت ..

و تنحني كشجرةٍ امتثلت لرغبة رياحي !

لو أنك، تسكن في الطابق السفلي ..

تماماً أسفل حجرتي ..

فتصنع في سقيفتك منفذاً إلى أرضي ..

أُخبّئه بقطعةٍ من السجّاد ..

أُزيحها إذا تعالى غطيط الكون !

لو أن للكون (mute) . .

لو أن طاقية الإخفاء حقيقة . .

لو أن في العمر (Back) . .

و للذاكرة (Delete) . .

لو أنك أحد هذه الوسائد الخمس !

لو أنك في الحجرة المجاورة . . والتيار الكهربائي مقطوع !

لو أنك (لِص) . . تتسلّق هذه الشرفة . .

و تتحسّس العِقد الثمين على عنقي !

لو أنك الآن هنا وحسب !

تروقني الكتابة إليك . .

حتى لو كنت تجلس إلى جانبي !

يروقني أن تراقب أصابعي . .

حين أكتب الألف . .

ثم الحاء . .

ثم الباء . .

ثم أتلكّأ قليلاً قبل الكاف فتبتسم و تبعثرني!

يحدث أن أناديك ..

هكذا دونما سبب ..

يطمئنني أن تردّ ندائي ..

فأستشعر حقيقة وجودك !

(ندى) بصوتك الخشن لها وقعٌ خاص ..

يُفكّكني .. ويُعيد تجميعي ..

أتعمّد السكوت أحيانًا لتناديني ..

فتُمطر الأشياء من حولي ..

ويورِق قلبي !

أتغذّى على صوتك ..

جرّب أن تصمت .. ولاحظ تضاؤلي !

قُل : (ندى) . . لتصالحني الحياة . .

قُل : (ندى) . . لأخرج من صومعة صمتي !

قُل : (ندى) فقط . . وراقب ما يحدث !!

صوتك حكاية ما قبل النوم . .

و ترويقة الصباح . .

يروقني خَدَر صوتك فور ما تستيقظ . .

واو المدّ الخشنة التي تنتهي بها (ألو) !

أنفاسك الكسلى التي تكاد تكون أنيناً !!

في صوتك دفءٌ يحتضن ارتعاشة مخاوفي المتجمّدة ..

ركنٌ آمن ..

أنزوي إليه كلما تراءت لي أشباح أمسي الـمُشوّه !

قل : (أحبكِ) ..

ودع الأمر لي !

أعرف جيداً كيف أجعلك تندم على حب امرأةٍ نزقةٍ مثلي !!

الآن ..

و الجميع منشغلٌ بالمباراة ..

أنا منشغلةٌ بك ..

أنت الكرة التي أسعى إلى تسديدها في مرمى حياتي القادمة !

ثم أتضاعف إلى جمهورٍ يهتف (أحبك) ..

يا مكعّب السكر في كوب أيامي الـمُرة :

وجودك سُترة نجاةٍ مُحكمة ..

ومظلةٌ هوائية ..

وبِساطٌ مطّاطيّ ..

أجمل ما قد يحدث لامرأةٍ هو (أنت) ..

محظوظةٌ هي (أنا) !

لأنك المارد الذي لم يأتِ من الإبريق ..

فإنك لا تسألني عن أمنياتي ..

إنما تأتي بها من تلقاء حدسك الذي لا يخيب !

لا ترفع سقف عطائك فتستطيل قامتي ..

أخشى إن جرفك الغياب أن أنحني تحت أسقف غيرك المتدنية !

أتظاهر بالنوم لأحظى بالعتمة ..

الضوء يُشتّتني ..

حتى هذه النقطة الحمراء المضيئة على الحائط تضايقني !

أريد وجهك فحسب ..

وجهك الذي أختزله في ذاكرتي و يحجبه القدر !

أصابعكِ التي تكتب (ندى) على وجه الزجاج المتعرّق ..

أريدها في مهمةٍ أخرى ..

كأن توقّع ورقةً في حضرة المأذون !

يحدث أن أنزع الساعة عن معصمي ..

و أخبِّئها في حقيبتي ..

ثم أقترب منك بحجة السؤال : (كم الساعة ؟) !

يحدث أن أداعب طفلاً أمامك ..

و أقرص خدّيه بلطفٍ ..

و أطبع ما بينهما قُبلة !

يحدث أن أحبك ولا أعترف بذلك !

بلا مناسبة ..

يُعجبني أن تفوقني طولاً ..

سئمتُ الانحناء !

متى أرتدي مِعطفًا شتويًا ..

وحذاءً عنقه طويل ؟

نسير في شارعٍ باردٍ جداً ..

تتعانق أكفّنا ..

و أحتضنك بحجة الدفء !

متى تملأ فراغاتي ..

فأغضّ بصري اكتفاءً وليس تورعًا ؟!

كنتُ أُشفِق على امرأتين :

امرأةٍ تحلم بالزواج . .

و أخرى تظنّ أنها الوحيدة في حياة زوجها !

حتى التقيتُك . .

فأعدتُ صياغة قناعاتي . .

و آمنتُ بأنك الاستثناء من أي قاعدة !

لو كنتُ أعلم أنك أجر الصابرين . .

لأطلقتُ (زغرودةً) مع كل مصيبةٍ جاءت قبلك !

قدْرٌ ما ..

أتأنّق له بعناية ..

أكتحل ..

أُلوّن شفاهي ..

أبرد أظافري ..

أُجرّب فساتين كثيرة ..

و أستحلف المرايا : (أليست مزحة ؟)

هل أنا خائفة ؟

في الحقيقة (نعم) !

لكنه ذلك الخوف اللذيذ ..

الذي ينتابنا قبل أن ينزلق بنا القطار في مدينة الألعاب !

أرتّب الزوايا التي قد تجمعنا بعناية ..

و أقتني من كل شيءٍ زوجين اثنين ..

و أنتظرك !

على سبيل الدهاء ..

أتناول شرائح الأناناس فقط ..

و أنصب لك فخًا على شكل ساعةٍ رملية !

هذا الخصر الذي يزداد نحالةً ..

هو نداءٌ عاجل لرجلٍ لا يسقط سيفه في منتصف المعركة !

سمفونية الـ (آه) التي يعزفها جسدك الجائع ..

أتواطأ معها بـ (آهٍ) غير منتظمة ..

ترتفع أحيانًا حتى توشك أن تكون استغاثة !

لنتّفق ..

تمنحني رجلاً حقيقيًا ..

و أمنحك طفلاً يشبهك !

أريدك رجلاً يشيخ إلى جانبي ..

ويحتضن كهولتي ..

أريد اسمك مكتوبًا في هوية أطفالي ..

في وثائقي الرسمية !

حاجتي إلى الأمان ..

تفوق حاجتي إلى الحب ..

تذكر ذلك جيداً !

لن تشعر بالأمان مطلقًا ..

إذا كنتَ وحدك الـمُضاء في منطقةٍ شديدة العتمة !

أعلى مراتب الحب . .

أن تتصدّق عني دون علمي !

و أصدق الحب . .

أن تتمنّى لو تُنجِب طفلاً مني !

أشتمك ..

تشتمني ..

أقسم ألا أعود إليك ..

و تقسم ألا تبالي ..

أتكئ على السين : (مع السسسسلامة) ..

تردّ بمثلها و تغلق الهاتف !

تعاود الاتصال بعد دقيقتين فقط ..

_ نعم ؟

_ أحبكِ !

ممتنة لك كل المرات التي صرختُ فيها لتغرب عن وجهي وترحل ..

ولم تفعل .. ولم تُفلت يدي !

أحبك حين تصالحني ..

حين تفاجئني عند (الكاشير) وتتقمّص دور البائع !

حين تتبعني كمتسكّع ..

و ترمي بقصاصةٍ صغيرة في حقيبتي مكتوبٌ فيها (سامحيني) !

أحبك ..

حين تحنث في يمينك كلما أقسمتَ ألاّ تعود !

إذا أخبرتُك لاحقًا أني لا أريدك ..

لا تتردّد في صفعي ..

و ألجمني بقُبلة !

وجهك في حدّ ذاته اعتذار !

إذ يكفي أن تظلّ صامتًا وتبتسم . .

فأنسى ما كنتُ قد غضبتُ لأجله . .

و أصفح عن جرائمك ما تقدم منها وما تأخر !

(وجهك) المنحوت بعنايةٍ لا يُجيدها سوى إله ..

(وجهك) السينمائي ..

(وجهك) الذي يليق بلوحةٍ إعلانية ..

إذا رأيتُه ..

كيف أمنع ابتسامتي ؟

كيف أُصِرّ على موقفي ولا أحبك ؟

أحتاجك لتلعق قلبي . .

أحتاج لتلك الوخزة في نبضه . .

تلك التي لا يمكن لأيّ نشوةٍ أن تبلغها دونك !

الشوق الذي لا تُطفئه الأحضان والقُبل . .

ماذا تُراه يكون ؟

لا تصافحني بأصابع مرتخية ..

صافحني بقوّة ..

كما لو أني متدلّيةٌ من هاوية ..

بقدر ما تعصر كفّي ..

أقيس حبك !

أعلم أنك، قد تُمسِك بمزاجي من مؤخرة قميصه ..

و ترفعه ،عاليًا بسبابةٍ و إبهام ..

و أعلم أنك قد تُفلِته في غمضة عينٍ فيتعكّر ..

لذا أتذكّر مواقفك الجميلة كمظلّة هبوط ..

و أصفح عنك !

قافين بينهما لام !

على افتراض أن الحب لعبة . .

ذات سلالم وثعابين و أرقام . .

في طريق صعودي إليك . .

توقفتُ عند فم الثعبان الأكبر . .

وتراجعتُ إلى بداية اللعبة !

أكثر من الحب أحببتُك حين افترقنا ..

لأنك لم تأتِ على ذكري بما أكره !

حسبك أني قد أحببتُك رغم اختلافنا ..

و أريتُك كيف أنشطر إذا أحببتُ إلى مجموعة نساء ..

وحسبي أنك ما زلتَ تطرق بابي بإلحاحٍ لتستردّني !

كنتُ (مُكعّبًا) حبيسًا يبحث عن مخرج . .

و كنتَ أنت فوّهةً على شكل (مربّع) !

جئت عظيمًا (جدًا) ..

وسيمًا (جدًا) ..

مثقفًا (جدًا) ..

كما لم أكن أتصوَّر !

وهذه الـ (جدًا) .. هي ما يؤسفني الآن !

نحن لا نستطيع أن نتجاوز الأشياء التي تأتي متبوعةً بكلمة (جدًا)

و (جدًا) الجميلة ..

تُنجِب (أسفًا) دميمًا فيما لو تزوَّجها الندم !

جعلتُك الأب الشرعي لصغار ذكرياتي ..

رغم كل ذكرى يتيمة شرّدها رجلٌ قبلك !

لم تكن تراني حين لطمتُ وجه حظي الذي جاء بك متأخراً جداً

و قد امتلأتُ يقيناً بأن الحب في وطني مجرد (تسلية) !

أردتُ فقط .. أن أوقّع صفقةً على عنقك ..

أعلم مسبقًا أنها خاسرة ..

و أستدرجك لتزوّر التوقيع ذاته ..

فنتورّط في قضيةٍ شائكة ..

عقوبتها (مأذون) !

أردتُ أن تأتي حالاً قبل الأذان ..

وديعًا كما تمنيتُك ..

تفرك عينيك متباكيًا كالأطفال ..

وتقرص خدّي لأُفلِت ابتسامةً محبوسة ..

ونتصالح !

أردتُ أن تفعل شيئًا يجعلني أغفر لك ..

أريد أن أغفر لك !

ثمّة امرأةٌ داخلي تسألني عنك . .

بماذا أُجيبها ؟

و أخرى تشتاق إليك . .

كيف أُخرِسها ؟

(صباح الخير) ..

أقولها لوجهك المبتسم داخل البرواز !

(صباح الخير) ..

أكتبها في رسالةٍ نصّية ..

و أتراجع عن إرسالها !

أمتنع عنك مرغمةً ..

كما لو أنك (حلوى) ..

و أنا مصابةٌ بالسكر !

أخشى أن يكسرني غرورك فيما لو عاودتُ الاقتراب !

أتوق إلى الدهشة في عينيك . .

حين أُطِلّ عليك . .

فتنفرج شفتاك . .

ويتّسع فمك !

و تتشابك أصابع يديك على رأسك . .

و تنسى أن تردّ السلام !

ولأننا قد نكذب في سبيل الخلاص ..

وقد نكذب في سبيل درء المفسدة ..

وقد نكذب في سبيل تلميع أسمائنا ..

سأكذب في سبيل كبريائي ..

و أقول بأني لا أشتاق إليك !

أشتاق إليك . .

غير أني أصنع معروفًا بقلبي حين أبتعد !

أريد مكانًا لا يحمل ذاكرتك . .

جدران أخرى لم تشهد أني أحبك . .

رائحةٌ أخرى لا تجرّني من ناصيتي إليك !

سائق الأجرة يُشبِهك !

و رجل المرور يُشبِهك !

و موظف الكاشير يُشبِهك !

و الرجل على اللوحة الإعلانية .. يُشبِهك !

أعلم أني أتوهّم ..

أنا فقط أفتقدك !

أحتاج إلى دميةٍ كبيرة .. بحجمك ..

لها رائحتك ..

أحتضنها كلما قسوتَ أنت !

تستحضرك رائحة القهوة أينما أكون ..

حدّ أن أشعر لو أني التفتُّ يمينًا لوجدتُك !

كيف أُقنِع أنفي أن ينساك ؟

دعني أحبك لأنك الخيار الأفضل ..

لا لأنك الخيار الوحيد !

دعنا نعود إلى البداية ..

تتحسّس وجهي ..

و تسألني ما إذا كنتُ حقيقةً أو دمية !

تنزلق سبّابتك على أنفي ..

و تتوقف عند شفتيّ ..

أعضّ عليها وتستيقظ !

ثم أسألك ..

هل مازلت تعتقد أني أحق بالخلد من الموناليزا ؟

أحتاج أن تُذكّرني أحيانًا كم أبدو جميلة في عينيك المشبعتين بالنساء !

و إلى أي مدى قد ساهمتُ في غضّ بصرك !!

تجمعني بك القبيلة ..

و المدينة ..

و الحي ..

و الشارع ..

و يفصلني عنك (الكبرياء) !

لا تصدق كبريائي ..

هذا الوغد الكاذب الذي لا يكترث لغيابك ..

لا تُصدّق هيبتي و شموخي ..

مُحدَودِبٌ ظهري ..

أتوكّأ عصاة الصمت و أعضّ أصابع الحنين إليك !

لا تُصدّق هاتفك الذي لا يُومِض باتصالي ..

أتحسس أرقامك العشرة بأصابع كرامتي المبتورة ..

و أكتب عشرات الرسائل الحبيسة في سجن مسوّداتي !

لا تُصدّق زينتي ..

أحمر الشفاه ..

و عطري ..

و كعب حذائي العالي ..

أنزعهم في خلوتي و أُحطّم الزجاج و أناديك !

صدّقني أنا ..

صدّق الطفلة في صدري ..

هذه المتشبّثة بظهرك ..

هذه التي سرعان ما تبكي ..

و سرعان ما تصفح !

صدّق المرأة التي أشارت إليك بوصلة اختيارها ..

و اصطفتك لنفسها في حين لم تكن الوحيد الذي اصطفاها لنفسه !

صدّق انتظاري الطويل ..

وتمنّعي عن سواك ..

صدّق عودتي إليك بعد كل جرحٍ لم يلتئم !

(وجهك) بطاقة عيدٍ لم تصلني بعد !

ألن تعايدني ؟

تعال نحترق ..

ونتصاعد كأدخنة ..

أتشكّل أنا على هيئة (قوس) ..

وتتشكّل أنت على هيئة (رُمح) ..

ونقتل هذا المدعو (غياب) !

تعال نتعارك بالوسائد ..

تزغزغني ..

أضحك باستغاثة ..

أتوسّلك أن تكفّ وتأبى !

تخطف الكرزة من فمي ..

أعاقب شفتيك ..

ثم نتصالح !

تعال نقتسم الرغيف ..

و نأكل بملعقةٍ واحدة ..

ونشرب من موضعٍ واحد ..

تُسرّح شعري ..

أحلق ذقنك ..

تُغلِق سحّاب فستاني ..

أزرّر قميصك ..

تضع الطلاء على أظافري ..

أفرقع أصابعك !

تعال و ليخسأ الكبرياء ..

تعال قبل أن يفوت أوان العودة !

قناني العطور الفارغة ..

ربما تخبرك إلى أي مدى تتأصّل في عمقي الأشياء ..

إنَّ امرأةً لا ترمي قنّينة عطرٍ فارغة ..

هي امرأةٌ لا تبور في أرضها الذكريات !

كل التفاصيل تمرّ على ذاكرتي مكبّرةً بمجهر ..

حدّ أني أرى النقطة السوداء في أذنك اليسرى !

و الخيط الناتئ عن عروة قميصك ..

ذاكرةٌ كهذه لا تنساك !

أخبرني أنت . .

ماذا أفعل بتفاصيلك المحفورة على صخرة ذاكرتي ؟

كيف أمضي إلى حال سبيلي و أقدامي عالقةٌ في أرضك ؟

لو أن الحب قرارٌ . . ما أحببتُك !

مازلتُ أتوقعك خلف كل طرقة باب ..

مختبئًا خلف باقة وردٍ ضخمة ..

أصفعك أولاً ..

ثم أحتضنك دونما عتاب ..

وأنهمر في تقبيلك !

في الطريق إلى أماكن تشهد بأني كنتُ أحبك . .

و كنتُ أضع لأجلك عنق المستقبل تحت حدّ السيف !

مررتُ بذلك البائع الوغد أمام محلّ العطور . .

يمدّ لي بقصاصة ورقيةٍ مشبّعةٍ بعطرك !

هو لا يعلم أنه نفخ في صور الحنين . .

و بُعِثت الذكريات من مقابرها تعرج نحوي !

قنّينة عطرك . .

كفيلةٌ بسحق ركام العتب المتكوّم على قلبي !

يا الله !

كيف لرائحتك أن تؤجج الحنين المستذئب . .

ذلك الذي ينقضّ على جسد الذاكرة بوحشية الجائع المفترس . .

حنينٌ ذو مخالب وأنياب . .

ينشبها في قلبي دونما رحمة . .

فأئنّ شوقًا إليك !

أقوى لغمٍ من الذكرى يمكن أن تزرعه في ساحة ذاكرتي هو عطرك !

ما الذي لو قلتُه سيُحدِث فارقًا ..

و يغيّر من شكل هذا الصباح .. و يأتيني بك ؟

أمَا تشتاق ؟

أمَا ينقلب على صمتك جيش الحنين ؟

أما تثور شعوب الحب في صدرك ؟

ويحك !

أما أنا .. فأشتاق ..

و أعترف بجُرم الفراق !

أتنازل عن قضية إقصائك ..

و أرفع دعوى ضدك للعناق !

أحبو على جسد الحنين ..

و ألعق التفاصيل العالقة في مخيّلتي ..

فتنتصب الأفعى في صدري ..

ويتصاعد فحيحها !

لا أريدك أنت ..

أريد ذلك النائم في صدرك ..

ذلك الذي أقسم أن يحمل عن كاهلي هذا الحزن البدين !

أيقظ الرجل الذي أحببته في صدرك ..

و ائتني به !

و أتعثّر بك مع كل فنجان قهوةٍ أتناوله بمفردي !

و يجرّني إليك الحنين من مؤخرة رأسي ..

و يلجمني الكبرياء !

الكبرياء مرةً أخرى !

تكمن الصعوبة في منسوب الوفاء ..

عندما يتساوى مع منسوب الكبرياء ..

نَعْلَق عندها ما بين الرحيل والعودة !

استبدلتُك بالكتب . .

هذه المكتبة الضخمة هي طريقتي في سدّ الفراغ الذي خلّفه

غيابك . .

غيابك الذي اخترتُه أنا . .

وتواطأتَ أنت معي !

مالا تعرفه . .

أن الحنين في غيابك تناجى مع الأبجدية سراً . .

كنتُ ثالثهما الذي لم يفهم . .

كيف صارت كل الأسماء هي (اسمك) !

منذ أن افترقنا ..

اتّسع الكون حدّ أن صارت صدفة لقائنا مستحيلة !

لم تعد الدنيا صغيرة ..

و كأن الشوارع طابقين ..

و كأننا لا نقطن ذات المدينة !

أصبحتُ هشةً سرعان ما أبكي ..

حدّ أن مواء القط خلف بابي يُبكيني ..

وصلاحية القهوة المنتهية أسفل القارورة تُبكيني ..

وصوت الطائرة يُبكيني !

و المعاطف الشتوية على واجهة المحلات تُبكيني !

حتى أني لم أعد أكتحل !

أخشى إن فعلتُ أن تهتك دموعي السوداء سِتر حزني !!

الأثر لأربعة أقدامٍ على الثلج . .

و المعطف الشتوي . .

و الرجل الذي يفوقني علمًا و طولاً . .

و الأصابع المتشابكة . .

و كرات الثلج التي نتراشق بها . .

و المظلّة الواحدة . .

و الألبوم الممتلئ بلقطات نشوتنا وتوحّدنا !

هل كانت تلك أحلام العصافير ؟

لم تكن تنقصنا الفرصة . .

كان ينقصنا (الاستعداد) !

مالم أخبرك به أني بكيتُ مرةً أمام المرآة . .

ذرفتُ دموعًا سوداء و أفسدتُ زينتي . .

لأني رأيتُ انعكاسك في وجهي . .

كم تُشبهني !

و حتى هذه الساعة المتأخرة من زمن الاستيعاب . .

أنا متوعّكةٌ بك . .

طريحة الذاكرة . .

و هذ الجزء الفارغ من الفراش مسؤوليتك وحدك !

هل من العدل أن تنام امرأةٌ مثلي بمفردها . .

لمجرد أن رجلاً مثلك نبت في طريقها فتعثّرت به ؟

تُرى لو أني رسمتُ على حائطي خماراً مُمزّقًا ..

و أشعلتُ في نافذتي قبسًا من نار ..

هل ستفهم استغاثتي و تعود ؟

لو أني صنعتُ سفينةً من ورق ..

و أحدثتُ ثقبًا في جانبها ..

هل ستفهم قهري وتنصرني ؟

لو أني وضعتُ عند بابك فردة حذاءٍ واحدة ..

و علّقتُ على مشجبك قميصًا قُدّ من دُبُرٍ ..

هل ستفهم حاجتي و تنصفني ؟

اشتقتُ إلى كفٍّ خشنة تتحسّس وجهي الناعم ..

و تصفع وجه الحزن الذي يلاحقني ..

اشتقتُ إلى كتفين عريضين أدفن بينهما رأسي ..

و أُغمِض عينيّ عن الأوجاع طويلاً حتى أنام !

اشتقتُ إلى أنوثتي التي لم أستشعرها منذ أن تخلّيتَ أنت عن رجولتك !

اشتقتُ إلى عطري العالق في قميصك ..

إلى أحمر الشفاه على عنقك ..

إلى العِقد المنفرط ..

و فردة الحذاء المفقودة !

اشتقتُ إلى رجلٍ يجعلني أسهر ..

أتعلّق في الشرفة ..

أتردّد على المرآة ..

أبتسم إلى سقف الحجرة .. وأُقبّل الوسادة !

اشتقتُ إلى فساتيني القصيرة ..

إلى الرسائل الطويلة ..

إلى الوردة في حضن كتاب !

اشتقتُ إلى الحب ..

هل تعرف الحب ؟

ذاك الذي لا يعترف بالديانات والأعراف ..

ذاك الذي لا يأبه لفواصل الخريطة ..

ذاك الذي ألعق معه باطن قدميك ..

و تحملني على كتفيك كطفلة !

لو أن للأحضان عيادة . .

لكنتُ الآن أنتظر دوري في صالة الانتظار !

هذا (الصفر) اللعين . .

الذي أعود إليه بعد كل تجارةٍ في الحب كنتُ أحسبها رابحة . .

هو الثابت الوحيد في حشد هذه المتغيرات !

لم تكن أنتَ الذي وكّلتُه أمر قلبي الضرير . .

وتعهّد بحمايته . .

ثمّة خُدعةٌ في الأمر !

أحلامي الخرساء ..

تُشير إلى ركنٍ مهجور ..

بعينين شاخصتين .. وفكٍ يرتعش !

أحلامي لا تكذب !!

تلك النار في طرف الفراش ..

و الأسقف النديّة ..

و الجدران المتصدّعة ..

أفهمها جيداً ..

و أحزم حقائبي استعداداً للفراق !

أخدان !

أردتُ أن أرسم وجهًا مبتسمًا لحياتي ..

و بدأتُ برسم دائرة ..

فقاطعني ..

و رسم لها قُطرًا مائلاً ..

و أغلق القلم ..

لتسقط الحاء من أحلامي في كل مرة !

جُلّ ما أخشاه ..

أن يتركني قلبي معك بمفردي !

كيف سأحتملك حينها ؟

و من سيلتمس لك عذر الإساءة ؟

ولأن أفراحي تنطفئ سريعًا كرأس كبريت ..

فإن خيطًا من الدخان يتصاعد الآن من قلبي !

و يمرّ الفرح في سمائي كشهاب ..

لا ألبث أن أراه حتى يختفي !

و تعود إلى السماء عتمتها و رتابتها ..

أشرقت شمسك هذا الصباح من مغربها ..

يا غصّة الوجع في حلق تفاؤلي الكبير !

حتى أنّ الورد لم يذبل بعد ..

وُعودٌ عمرها أقصر من عمر الورد !!

ثلاثة عشر وردة ..

ظننتُها ستزيد واحدة بعد عام ..

فأنفقتُ حفاوةً بها ثلاثة عشر شهراً سُدى !

علمتُ الآن لماذا كنت تقول بأني (طيّبة) !

ادّخرتُك لفصل الشتاء مِعطفًا . .

ولما حلّ الشتاء . .

عاقرتُ نزلة غيابك !

أمي تعرف جيداً أن ساعات نومي الطويلة ..

وأنفي المتقشّر من أثر المنديل ..

هي خيبةٌ ما !

قالت لي ذات توجّس :

(الأشياء الجميلة لها رؤوسٌ حادة ..

تنغرس في أجسادنا عندما نبالغ في الاقتراب)

و كأنما أفراحنا معهم كانت ديون ..

يستردّونها وجعًا !

ما أن تولّي وجهك شطر قلوبهم ..

حتى يولّوك الأدبار!

انسحابك من حياتي ..

أشبه بانسحاب طالب في السنة الأولى من كلية الطب ..

أدرَك أنه ليس أهلاً أن يكون طبيباً ..

فعاد إلى دكّانه !

وبروتوكول الانسحاب يا سيّدي ..

يحتّم علينا أن نخلق مبررات و لو كانت واهية !

ثم يتوقّف الأمر بعد ذلك على حذاقة (المسحوب عليه) ..

ومدى لياقته القلبية !

أنا الآن أُمرّن قلبي على لياقة الفقد ..

و أستعين لنسيانك بقانون الإزاحة !

هل تعرف قانون الإزاحة ؟

أول مشهدٍ على مسرح الخذلان ..

أن تحُدّق ببلاهةٍ في المقعد الفارغ ..

و تُعِيد النظر إلى عقارب الموعد الملكوم !

ثم تحمل صِدقك و تغادر !!

إنه الثالث من عيد الأضحى ..

حيث قُصِم ظهر حُلمي الأخير !

تأمل فقط ..

كيف أرتكب حماقاتي ..

و أتورّط في جرائمي العاطفية ..

تأمّل كيف أضع أصابعي للمرة الثالثة بين أذرعة المقص !

و لأنه الأربعاء ..

و لأن الرابعة فجراً قد أوشكت ..

أتأنّق بعناية ..

أسدِل شعري ..

أقف في وجه الذاكرة ..

و أبتسم لها ابتسامة المنتحر في وجه القطار !

لأن الرابعة فجراً قد أوشكت ..

أملأ حوض الاستحمام ..

و أَغُطُّ وجه الحنين في الماء ..

حتى تتوقّف فقاقيع الهواء .. وترتخي يداه !

لأنه الأربعاء .. و لأن الرابعة فجراً قد حانت ..

أنفض فراشي و قلبي لأنام ..

أنام لأُنفِق المزيد من الأيام في سبيل نسيانك !

مضى العام ..

و عاد الثالث من شعبان !

أخبرني أنت إن استطعت ..

ماذا عساي أكتب في صباحٍ كهذا ؟

أحبك ؟

أكرهك ؟

كل عامٍ و أنت ماذا ؟

أنت مدينٌ لـ (سذاجتي) في الاستمرار !

لو لم أكن ساذجة .. هل كنا سنحتفل بمرور عام ؟

بالمناسبة ..

هل تعرف ماهي السذاجة ؟

سجّل عندك إذًا :

هي كل خيبةٍ حال على استمرارها الحول ولم نتّخذ حيالها أيّ موقف !

حسنًا ..

و هل تعرف ما هو الضياع ؟

أن تركب سيارة الأجرة ..

فيسألك السائق : إلى أين ؟

و تجُيبه : إلى أي مكان !

قُل بأنها كذبة إبريل ..

و أن السقوط الذي آلمني ليس إلا سقوطي في المنام من السرير ..

و أن تسلسل (السرنديب) سينتهي إليك !

و أفضل احتمالٍ ممكنٍ هو (أنت) !

كان حلماً جميلاً ..

أيقظني منه جفاؤك قبل أن تتشابك أيدينا ..

لو أنك تأخرت قليلاً ..

ريثما أُنجِب طفلاً يشبهك ..

طفلاً يُقلّل من وحشية الآتي !

الفقد أشدّ ألـماً من الولادة ..

وخروجك من حياتي كان ولادةً متعسرة ..

ما تزال ندباتها على جسدي حتى الآن !

أعِد إليّ أصابعي التي بترها تفريطك ..

لأعاود مصافحتك ..

أعِدها لأرسمك !

أعِدها لأكتب (أحبك) ..

أعِدها لأتصل بك و أخبرك إلى أيّ مدى أفتقدك !

قُصّ عليّ حكايةً لأنام ..

قُل بأن الذئب كان يمازح ليلى !

و أنه لم يكن ذئبًا أصلاً ..

بل كان حبيبها مُتنكرًا ليحتضن هلعها فتلكمه و يضحكان !

قُل شيئًا كـ (أحبكِ) ..

(أحتاجكِ) ..

(ما نسيتُكِ) ..

(لن أفرّط بكِ) ..

(تائهٌ دونكِ) ..

(وحيدٌ بعدكِ) ..

لا تدعني أستجيب لفكرة غيابك و أنصرف !

تعرف جيداً أني حين أغادر لا ألتفت ورائي ..

و أنغمس في غياب أبديّ .. أشبه بالموت !

و سؤال يطرق نوافذ استيعابك : (هل حقًا كانت هنا ؟)

كنتُ قد امتلأتُ بك حدّ أني لم أستخير !

كنتُ قد راهنتُ على رجولتك . .

و خسرتُ الرهان !

فهل أُلام ؟

كنتُ (أنا) . .

لم أكن شيئًا آخر يشبه الأخريات . .

وهذه تهمتي التي لا يزال يحاكمني عليها قانون تلقينك المعلّب !

لا تمنح العصفور سعادةً في قفص . .

و أنا عصفورٌ لا يهدّده أن تُطلِق سراحه !

يزداد الرجل تعلقًا بالمرأة التي ترفضه ..

بينما لا تفتأ المرأة تذكر الرجل الذي تفانى في حبها ..

هل كان ينبغي أن أرفضك لأعلق في غصن ذاكرتك ؟

هل كان ينبغي أن أكون (مُسافِحَةً) لتُحبني ؟

ألم يكن بمقدورك أن تُجيد دورًا غير دَور الأخدان ؟

ما كان ينبغي أن تجعلني أعتادك ..

ما دمتَ لا تملك نهايةً مختلفة !

كنتَ تحاول أن تبني معي بيتًا جميلاً من المكعبات الثلجية ..

أخبرتُك أنه لن يصمد أبدًا في جوّ أعرافنا الاستوائية !

وكنتُ على يقينٍ بأنه شعورٌ مزيّف ..

و أن الحب لن يؤتي ثماره معك ..

و أن التقاءنا مزحةٌ ثقيلةٌ تستخفُ بها العادات دمَها ..

و تَصفِق كفّها بكفّ العُرف !

لم أعرف من أين تُؤكل كتفك ..

تناولتُك دفعةً واحدة ..

وغصصتُ بك !

لم يكن مجديًا أن أحتفي بتفاصيل صغيرةٍ ..

مع رجلٍ صندوق عرفانه مثقوب !

أحببتُك على طريقتي الخاصة ..

طريقتي التي لا تجُدي نفعًا في زمن الأوغاد هذا !

كنتُ أسعى أن نعيش حياةً أجمل مما لقّنته إياك القبيلة ..

و أبَيْتَ إلا أن تكون (مكرراً) !

لأن طفولتي مشبّعةً بـ (هايدي) . .

ظننتُ أنّ ثمّة رجلٌ كـ (بيتر) !

ما ذنبي . . إذا كنتُ قد صدّقتُ منذ الطفولة . .

أن (عدنان) لم يخذل (لينا) . .

و خمّنتُ تلقائيًا أن الحب الذي ينتصر على الحروب . .

سينتصر على الأعراف ؟

فلنُشعل النار في جسد الأوهام يا عزيزي . .

ونحوم حولها على طريقة الهنود الحمر !

و لنغادر . . هكذا دون وداع . .

الوداع حيلةٌ نستفزّ بها الأيادي لتتشبّث بنا وتمنعنا فنبقى !

(أحبكَ) تعني أن حياتك معي كانت ستكون أجمل ..

لا تعني أن بمقدورك أن تفعل بي ما تشاء !

هل كنتَ تُسرِف في الإحسان لتملك حق الإساءة ؟

لو أن ذلك في بلدي ممكنًا . .

لالتحقتُ بالجيش !

أريد أن أحمل سلاحًا . .

و أتمرّغ في التراب . .

أريد أن أقسو . .

أريد أن أتصخّر !

أريد أن أنساك !

لن أنظر إلى نفسي باحترامٍ إذا لم أتوقف عن حبك !

أريد أن تكبر كفّي لتصبح بحجم حائطٍ فأصفعك ..

أريد أن يتّسع فمي باتّساع فوّهةٍ بركانيّة فأصرخ في وجهك ..

أريد أن أعود إلى زمنٍ لم أكن أعرفك فيه !

أتمنى لو أفعل هذا بك ..

فأخمد حرائقي ..

و أسترخي ..

و أستبدل نحيبي بموسيقى هادئة ..

كتلك التي تناسب سرير الأطفال !

لو أنك الآن هنا ..

لصفعتُك على مرأى من الناس ..

لو أن الزوايا تنطق ..

لانحازت إلى صفّي ..

و انهالت عليك بالشتائم !

أحاول قتلك ليس إلا ..

تظاهر بالموت لأصمت وأنصرف !

هذه الحفرة في ذقنها ..

و ابتسامتُها ..

و استقامة أنفها ..

لغمٌ سيظلّ ينفجر بك كلما تعرقلتَ بالأربعين أشباهي !

سأظلّ ضالّتك التي تعود خائبًا إليها ..

بعد كل محاولةٍ للبحث عن أشباهها بين أكوام النساء ..

ستظلّ تهرش رأسك غير مصدّقٍ أني قد كنتُ على بُعد سنتيمترات

من يدك !

عدد النساء في حياتك من بعدي ..

هو عدد محاولاتك الفاشلة في استبدالي بأخرى !

كنتُ عصفوراً جميلاً في يدك ..

أطلقتَه من أجل غربانٍ على شجرة !


كتاب & رواية
في كل قلب مقبرة
ندى ناصر
الرمحي أحمد

ظننتُك حجرةً آمنة ..

لبابها أقفال ..

عندما هرعتُ إليك و أوصدتُ الباب ..

إذ بها حجرةٌ غير مُسقّفة !

في جدرانها فجواتٌ تعبرها الرياح ..

و في ركنها تتناكح القطط !

كنتَ تتجاهل بذرة الخير في صدري ..

و تشحّ في سقايتها ..

و تزرع حولها ألف بذرةٍ من شر !

فهل تستنكر ثمري الأسود في موسم الحصاد ؟

أنت لم تعِ بعد ..

ماذا يعني أن تعود لبيتك ..

و يلج المفتاح في ثقب الباب لكنه يأبى أن يستدير !

لم تعِ بعد ..

ماذا يعني أن تفتح فمك عطشاً ..

لقطرة ماءٍ سقطت بمحاذاة ذقنك على الأرض !

لم يحدث أن أفرغتُ حقائبي ..

منذ أن فقدتُ الشعور بالانتماء ..

دائماً أنت على أهبة الخصام ..

و أنا على أهبة المغادرة ..

لا تسألني إذاً أين بتّ البارحة ..

ما دمتَ قد أوصدتَ بابك مبكراً !

لم يكن كافيًا أن تتّسع حدقتاي ..

ويتقوّس فمي للأسفل !

كان لابد أن أبكي كثيراً ..

و أنام كثيراً ..

و أصلي كثيراً لأتجاوزك !

كم سأستغرق من الوقت لأستوعب أنها ليست (مزحة) ؟

و أي صرخةٍ هذه التي ستلائم خيبتي ؟

كان من حقي أن تمنحني وداعًا أقلّ قسوةً من فُجاءة غيابك !

كأن أحتضنك على سبيل الوداع ..

أبكي على سبيل الظلم ..

أُخطِئ على سبيل المنطق ..

أُلوِّح على سبيل الإذعان !

(أحبكِ) التي كنتَ تردّدها ..

كنتَ تُشتّتني بها ..

و تجرب وقعها على امرأةٍ بثباتي ..

كطفلٍ يرمي بالمفرقعات على المارّة و يضحك !

كنتُ أعلم أنك تكذب ..

ومع ذلك أطرقتُ السمع إليك !

لا لشيءٍ سوى أني أحببتُك على طريقة امرأةٍ لا تأتي في حياتك

مرتين !

مؤمنةٌ بأن التاء في كلمة (كاتب) . .

هي ذال متنكرة !

لم تكن تحبني بالقدر الذي يمكّنك من اختياري . .

كنتَ تحشرني بين زمرة نسائك . .

وتخشى أن ينفضّوا من حولك فيما لو أعلنتني (زوجة) !

أفهم جيداً كيف تشتعل كمصباح ..

وكيف تجتمع حولك حشرات الضوء ..

أكره الوقوف في طابور نسائك ..

فتصافحني لمجرد أنه دوري ..

و أنا أعلم أن امرأةً خلفي تنتظر !

لا أُلبّي دعوةً على وليمة (رجل) !

لطالما كنتُ نهمةً جداً حدّ أن رجلاً كاملاً لي وحدي بالكاد يكفيني !

عندما بدأت الرياح تجري بما تشتهي سفني ..

وجدتُك منهمكًا في تمزيق الأشرعة !

ما حاجتي بك في النور ..

إذا لم أجدك في العتمة ؟

ثمّة رجالٌ _ و نساء _ ينطفئ حماسهم بمجرّد الامتلاك ..

سعيهم مُسخّرٌ لما ليس في حوزتهم ..

كل ما في حوزتهم مركونٌ على رف !

لا أحتمل الركون طويلاً على رف ..

و أنا امرأةٌ لها جناحان .. سرعان ما تطير !

ذراعي التي تلويها بهجرك .. بترتُها !

لستُ سطرًا في قائمة أهدافك ..

تشطبه إذا تحقّق !

عندما تنهمر في الإساءة ..

و أستمرّ أنا في الإنصات إليك ..

أفعل ذلك لأني أتعمّد أن أراك مُشوّهًا في عيني !

فأمتثل للشفاء منك في مدةٍ أقصر ..

صدقني ..

أنت تُسدي إليّ معروفًا مع كل أذى ..

إنك تدفعني إلى قدرٍ أجمل ..

ما كنتُ سألتقيه لو لم تخذلني !

كل إساءةٍ منك ..

هي حبل نجاةٍ أتسلقه لأخرج من بئرك !

قد أحبك حدّ أن أبقى ما حييتُ عزباء ..

قد أشتاقك حدّ أن أخدش وجهي و أشقّ عن صدري ..

غير أني لو التقيتُك صدفةً ..

ما أعرتُك اهتمامًا ولا نظرتُ إليك !

أوَلم تؤمن بعد أني امرأةٌ لا تكبو .. و لا تخنع ..

و لا تحني ظهرها في غير صلاتها ؟

لا تُنشِب معركةً بين قلبي وكرامتي ..

سأمتطي صهوة كرامتي و أجزّ رأس قلبي !

تهميش القلب (واجبٌ) في مذهب الكرامة !!

أبتلع شهقتي ..

و أُكمّم أفواه الحنين ..

و أدفع صدر الذاكرة السافلة !

اششششش أيتها الحواس ..

لا يجب أن تتحرك المومياء !

هذه المؤامرة التي يحيكها الحنين .. أواجهها بضراوة ..

و أتعمّد استهلاك التفاصيل التي كانت تجمعنا بمفردي ..

إلى أن تفقد سطوتها وتنسحب !

و أنتظر بيقين (المتأكد) من قدرة الله على تبديد أوجاعنا ..

أنتظر بحصافة (المتأمّل) ..

الذي لطالما راقب حركة الأقدار و فَهِمَها !

لن تضيرني خيبتك مادام لي أُمٌّ تجلس على طرف فراشي ..

تمسّد شعري ..

تُهدهدني ..

تقصّ عليّ ما يُطمئنني ..

لن تضيرني خيبتُك مادام لي أمٌّ أبكي على كتفها ..

تقوم الليل و تدعو لي في سجودٍ طويل !

أمهاتنا طوق نجاة ..

و طريقٌ مختصرٌ إلى تحقيق الأمنيات !

ما لم تنتظر لأخبرك به . .

أني مررتُ ذات حنينٍ على صورك . .

تأمّلتُ وجهك القديم !

عندما لم أكن قد التقيتُك بعد . .

كان نحيلاً عابساً . .

وكنتُ آنذاك بخير !

لو أني سافرتُ ذلك الصيف مبكراً بيومين . .

لو أني ما أجّلتُ رحلتي . .

هل كنتُ سألتقيك ؟

هل كنتُ سأكتب ما أكتبه الآن بأصابع باكية ؟

ظننتُ أننا سنشيخ معًا ..

ظننتُ أننا سنرتاح في الشرفة حين نبلغ من العمرِ عتيًّا !

ظننتُ أني سأتحسّس وجهك بيدين مُجعّدتين ..

و أُتأملك من مسافةٍ قريبة إذا شحّ النظر !

و أُقبّل جبينك المتعرِّج !!

ظننتُ أنك ستغسل ذاكرتي المتّسخة بهم ..

و تربت على كتف ثقتي المذعورة ..

و تُكذّب قناعتي التي تُقسِم ألاّ رجال !

المشكلة الآن ليست في رحيلك ..

المشكلة في الوعود التي تتركها خلفك ..

و أتورّط بها وحدي مع الآخرين !

وكأنما هي أجنّة غير شرعيّة !

أفتقدك !

و أواجه صعوبةً في تصديق ما آل إليه حالنا . .

و كيف للأقدار أن تنعطف بهذا الشكل المفاجئ ؟

فينحني معها كل شيء . .

مقرّنا السكنيّ . .

و أوراقنا الثبوتية . .

حيث لا يُجدي الوقوف نفعًا و لا حتى الالتفات !

إنّ ما يؤذيني الآن ليس افتراقنا . .

إنّ ما يؤذيني أنّ ما كان بيننا . .

سيكون بينك و بين امرأةٍ سواي !

تمنّيتُ في أسوأ الأحوال ..

أن يبقى افتراقنا قضيّة (نصيب) ..

تمنّيتُ لو أنك لم تُنكّس رأس الحب الذي رفعتُه لأجلك عاليًا !

ألم يكن بمقدورك أن ترحل برقيّ أكثر من هذا بقليل؟

علّني إذا التقيتُك في مستقبل الأيام لا أشيح بوجهي عنك ..

ولا أدعو عليك !

لأن صوت الأيام أعلى و أبلغ و أصدق ..

سأصمت ..

لأني إذا تكلمتُ سأبدو متحذلقة ..

و سيبدو أن لي مآرب أخرى لم أكن أقصدها ..

و لأن عواطفنا التي تطفو على السطح ..

يُساء فهمها و تُستَغلّ ..

سأصمت !

(رجل) بلا نقطة !

أيها النائم تحت سقفٍ آخر :

هذه الجدران الإسمنتية التي تفصلنا . .

ليست أشدّ صلابةً من جدران الوعود الزائفة !

أيها المعتزّ بإثمك :

ستجدني في صحائفك ذنْبٌ عصيٌّ على الغفران !

كلما بالغتُ في رغوة القهوة ..

راودني حلمٌ صبيانيّ ..

لو أنها عالقةٌ بشاربيك !

وشفاهي (المنديل) !

يقاطعني صوتٌ ساخرٌ من أقاصي الذاكرة :

كم منديلاً تجعّد في بكائكِ منه ذات خيبة ؟

و كم علبةً فرغت دون أن يعود ؟

في الحب ..

و في الحب فقط ..

يوقظك قلبك قبل المنبّه ..

و تسبقك أصابعك إلى الهاتف ..

و عيناك ما تزال مغمضتين !

في الحب .. إذا اشتكى عضوٌ من جسدي ..

تداعى له سائر جسدك بالسهر والحمى ..

في الحب فقط ..

لا تأخذك سِنَةٌ و لا نومٌ قبل أن تجفّ دموعي ..

لا تُلهيك تجارةٌ ولا بيعٌ عن تلبية الحنين إلى ضلوعي !

أما زلتَ متأكداً بأنك تحبني ؟

إنّ رجلاً يُخفِق في تذكر تاريخ ميلادي على مدى أعوام ..

في حين يتذكّر تاريخ مؤتمر (أبل) القادم والذي فات ..

لا أستطيع أن أصدّق بأنه يحبني !

أردتُك فقط إلى جانبي ..

تُطمئنني أنه لا ضير أن أكبر ..

أُطفِئ شمعة .. و أتمنى على سبيل الدجل أمنية ..

وأبتسم ـ و لو كذبًا ـ لأعوامي المنصرفة !

أردتُ قطعة حلوى أكافئ بها هذه النحالة المتعمّدة ..

منذ أشهرٍ لم أتذوّق الحلوى !

أردتُ أيّ شيءٍ مُغلّف ..

أيّ شيءٍ زهيدٍ تربطه شريطتان !

ولأني (امرأةٌ) ..

ستظلّ معضلتي في الحب ..

هي تلك الأشياء التي أتوقّع أن تبادر بها دون أن أطلبها !

و لأنك (رجل) ..

فإني على يقينٍ بأنكَ ستمحو النقطة من الجيم ..

مهما أقسمتَ بالأبدية !

لا أتذكر متى كانت آخر مرةٍ بكيتُ فيها على كتفك !

لا أتذكّر ما إذا كان ذلك قد حدث أصلاً أو لا ..

هل سبق أن كان لديك كتفٌ يحمل رأس امرأةٍ حزينة ؟

لم تكن تسمعني !

و أحاديثك الباردة ..

دليلٌ دامغٌ على أفول الحب من أرضك !

حتى أنك لم تكن تعرف لوني المفضّل ..

و لا حتى مقاس ألبستي !

أنّى لي أن أستشعر (أحبكِ) التي تقولها و أنت تمضغ العلك ؟

لا تقُل (أحبكِ) إذا كنتَ تقصد (آسف) !

لا تقُل (أحبكِ) إذا كنتَ تقصد (شكراً) !

أتيبّس . .

أستحيل إلى امرأةٍ صخرية . .

تتهشّم على جسدها اللكمات !

و عينان من الاسمنت لا عدسة فيها . .

تحدّق في ما وراء المكان !

لا ترمش !

تنحدر من طرفها دمعةٌ تفضح مُكابرتي !

و أنغلق عنك شيئًا فشيئًا . .

وينقبض صدري . .

و أتراجع . .

كمشهد سينمائي يُعرَض معكوساً ببطء !

شتّان ما بين رجلٍ يبحث عن راحته عندي . .

و رجلٍ يسعى لراحتي . .

الأول يده ممتدّةٌ لتأخذ . .

و الثاني يده ممتدّةٌ لتعطي !

اعتدتُ غيابك ..

و الفراغ الذي خلّفه إهمالك المزمن ..

بدأتُ أملؤه ..

لم أعد مطمئنةً على قلبي معك !

لا أقبح من غيابك ..

إلا حضورك الباهت !

و لا أسوأ من الخطأ ..

إلا أن تعتذر عنه باعتذارٍ متبوعٍ بـ (لكن) !

(كرت الغياب) الذي تُشهِره في وجهي لم يعد ذو سطوة ..

هو صالحٌ للاستعمال مرة واحدة على الأكثر ..

في المرة الثانية يتحول إلى (تذكرة دخول) لصالح غيرك !

أقاوم وجه أيامي المكفهرّ ..

و أُزغزغ المرأة الحزينة في صدري ..

لا يكفي أن تعلم مُسبقًا بأن الحب خديعةٌ كبرى ..

و أنهم يكذبون ..

جميعهم يكذبون !

لا يكفي أن تراهم بأم عينك ينصبون الفخّ الذي ستقع فيه لاحقًا !

لا يكفي أن تكون ذكيًا و مُتأهّبًا ..

لا يكفي أن تكون مُثقفًا و واعيًا و مُطّلعًا ..

كل حصانةٍ تعتدّ بها لتتّقي شر الوقوع في الحب ..

هي حصانةٌ واهية !

الحب أعمى .. نعم ..

لكنه ليس بأبكم !

لكل شيءٍ أوانه ..

و الصمت في غير أوانه إساءة ..

بل إن الصمت شتيمةٌ أحيانًا !

لم أكن أنتظر جوابًا ..

كنتُ أتحقّق من موتك ليس إلا !

كأن نلكز هامداً في ساحة القتال ..

ثم نتركه ونغادر !

لم يكن صادقًا حين قال (أحبكِ) ..

كان يملأ بها فراغات الصمت وحسب !

أفلَتَ يدي في ذروة احتياجي إليه ..

أفلتَها حين اعترفتُ بأني على مشارف هاوية ..

تشبّثتُ به حدّ أن بقِيَت كفّي بكفّه ..

و هويتُ بمِعصمٍ دامي !

أنا أهوي الآن ..

يتناثر الحب من كأسي ..

ينقشع فستاني ..

يتطاير شعري ..

و يداي ممدودتان نحو السماء ..

لقطة من فضلك أيها الزمن قبل الارتطام !

تعال ..

لا تُفوّت على نفسك ابتسامتي الدامية ..

و خدّ أحلامي المتورّم ..

وجه تفاؤلي مُضحِكٌ للغاية ..

تعال ..

في الأمر شماتة .. و أيّ شماتة !

المشكلة ليست في السقوط ..

المشكلة في الوقت الذي تستغرقه معاودة النهوض !

ازددتُ بعدك إيمانًا بحدسي ..

إذ لم يكذب حينما أخبرني بادئ الأمر أنك رجلٌ قصير الأجل !

سأصمت .. سأنطفئ .. سأغرب !

تجاهل جلبة الرحيل التي أفتعلها لتمنعني ..

تجاهل صوت تهشّمي ..

من حقّ المصاب أن ينازع قبل الموت !

شاربان و أعراف !

شقٌّ صغير في زاوية فمي ..

حدث عندما كانت شهقة ذهولي أكبر من اتساعه !

لم يكن يُجدي أن أُغمِض عينيّ بشدة ..

لأمحو صورة الموقف الذي بقر بطن الأمل في حياتي ..

و أطفأ الضوء في طريقي إلى الآتي ..

و دفعني إلى الوراء مسافةً طويلة ..

لا تقيسها وِحدة المسافات !

خطأٌ واحد (فقط) قد يُغيّر مصائرنا ..

و ينعطف بنا فجأةً إلى المجهول !

جيشٌ من الخوف أبصرتُه يزحف نحوي ..

نساءٌ تَشقُقْنَ عن صدورهنّ و تلطِمنَ وجوههنّ ..

قرع نعالٍ ..

عويل أطفالٍ ..

رنين هاتفٍ ..

طرقات بابٍ عنيفة ..

صرخات استغاثةٍ مُتقطّعة ..

هشيم زجاجٍ ..

و ركلات ..

و صفعات !

هل تجُدي الأقراص في مواجهة مأزقٍ نوويٍّ كهذا ..

سيمحو الأحلام عن خارطة أيامي ؟

ويرسم خرابًا ..

لا يكفي لإعادة إعماره ما تبقّى في رصيدي من سنوات !

أصابعي . .

تلك الجريمة التي أقمتَ بها عليَّ حدَّ الفراق . .

و جملتَ من الأيام القلائل التي كانت تفصلنا سنواتٍ عِجاف . .

الآن . . و أنت تُلقي على كاهلي فداحة الموقف . .

و تتوارى خلف شاربين و أعراف . .

ألم تكن أصابعي أمراً هيّناً و مباحاً . .

أمام وحشيّة المنفى الذي دفعتني إليه عن قصدٍ أو حتى دون قصد ؟

لم أكن أقصد الموت يا صغيرتي ..

في سلة الغسيل ملابس متّسخة ..

و على مكتبي عملٌ لم أنتهِ منه بعد ..

و مازالت هنالك ستّون صفحةً في الكتاب لم أفرغ من قراءتها !

لم أكن أقصد الموت يا أمي ..

وجبة غدائي ساخنة ..

و سجادة صلاتي ممدودة ..

و هاتفي مُتّصلٌ بالشاحن !

لم أكن أقصد الموت يا الله ..

كنتُ أُشتّت انتباه قلبي فحسب ..

و أُشيح بوجهه عن بشاعة الصدمة !

باعني بثمنٍ بخس ..

عندما لم يجد ما يُطعِم به نَزْعَته السادية !

لم يكن رجلاً ..

كان ظلاً له رأس ..

ومنكبين عريضين ..

وذراعين مفتوحتين ..

تلاشى عندما أشعلتُ الضوء !

لم يكن رجلاً ..

كان (ورقةً) طارت لمّا عصفت الريح !

وجهه الوسيم لم يكن كافيًا ..

كان ينقصه أن يكون (رجلاً) لنستمر !

كان مُنتجًا .. مواصفاته أقل بكثير مما جاء في الإعلان !

ودمعةٌ تعلّقت بطرف أنفي لـمّا رفعتُ رأسي من السجود ..

أعلم أن الله سيُبدِلها فرحًا أبكي لشدته !

أشيح بوجه قلبي عن قِبلتك ..

و أضع جبيرةً على ثقتي بغدٍ أجمل !

لا أُعوّل أبدًا على قلبك ..

أعلم أنك رجلٌ بلا قلب ..

و أن البكاء في عُرفك سائلٌ مالح ..

و الصدمة حالةٌ فيزيائية ..

و الصمت (صفر) هرتز في الثانية !

كنتُ أحملك معي هدفًا عظيمًا سخرتُ له كل تفاصيلي ..

و كانت عين الحق في رأس إنصافك مفقوءة !

كل ما في الأمر أن قامة وفائك أقصر من قامة عشمي بك !

كنتُ أعدّ الباقي من الوقت على قطف وعودك ..

بينما كنتَ تلعق إبهامك لتعدّ نقودك !

ربما يصبح بمقدورك أن تشتري منزلاً ..

غير أنك لن تشتري قلبًا يحبك !

عندما تركتُ لك أمر القوامة انتهينا ..

لم أكن رجلاً ..

غير أني تمسّكتُ بك تمسك الرجال !

كنتَ أنت (مُكفّر العشير) لا أنا !

فاتك من الرجولة أن تحترم كلماتك الأُوَلْ ..

تلك التي تشدّقتَ بها بادئ الأمر ..

و نصبتَ لي بها فخًا من (عشم) ..

لتكرّر المهزلة ذاتها و تغرب !

هل فكرتَ و أنت تهمّ بالمغادرة ..

كم بابًا من الخير سيُشرع من بعدك ..

و كم طابقًا من الأحلام سأعاود بناءه على ركام خيبتك ؟

الباب الذي أغلقتُه خلفك ..

لم يكن مستطيلاً خشبيًا له مِقبض ..

كان ثقةً تلوّح لنخوتك بالوداع ..

أتوكّأ على صلابته و أنزلق في ذهولٍ فاق سقف تشاؤمي !

فلتزغرد الشياطين ..

و تُقيم محفلاً عظيماً على عرشها فوق الماء ..

لا أستطيع أن أقاوم كل هذا الشر بمفردي !

معلقةً في الشرفة ..

أتأمّل الشارع المتثائب ..

و الموقف الشاغر !

وأزدري هشاشة الحكاية ..

سأبكي قليلاً ..

و أصلّي كثيراً ..

و أراقب عدالة السماء ..

و أتحسّس خصري النحيل الذي لم تمسّه يدك بعد ..

كيف نجا من شعورٍ زائف كاد أن يُكبّده طفلاً ؟

لا شيء يمكنه الآن أن يردم الفجوة بيني وبينك ..

أحدنا لا بدّ أن يكون شجاعًا و يحسم الأمر !

كنتُ سائلاً يتشكّل وِفق إنائك ..

أتصاعد الآن كأبخرةٍ لا يمكنك الإمساك بها ..

و أتكثّف في غير سمائك !

إن امرأةً تكبح جماح شهوتها إلى الطعام ..

و تقهر جوعها من أجل كيلوجرامين فقط ..

هي امرأةٌ لن تعجز عن كبح الحنين إليك ..

حتى تقتلك في صدرها !

أتدحرج الآن ..

أتشبّث بصخور حكمتي و أنزلق ..

لا شيء يمكنه أن يوُقِف هذا الانحدار !

أحتاج إلى رجلٍ على هيئة غصن ..

يعلق به طرف فستاني !

رغم كل هذا الوجع الذي طالني بفضلك ..

لا يسعني إلا أن أقول (شكراً) !

شكراً لأنك منحتني الثقة بحدسي ..

حدسي الذي طالما أخبرني أن وعودك أقصر من عُمْر فقّاعة !

في كل قلبٍ مقبرة !

قتلتُك في صدري دفاعًا عن النفس ..

و دفنتُك قبل أن أتحقّق من موتك ..

ثم صنعتُ لك ضريحًا فاخرًا ..

وزيّنتُه بالورود ..

أزوره كل يومٍ و أبكيك !

قد لا يزال بعضي عالقًا ببعضك ..

قد لا أزال أتخيّلك خلف رنين الهاتف ..

خلف زجاج السيارة الـمُظلّل ..

خلف باب المصعد النازل !

خلف الأضواء المطفأة ..

خلف الزغاريد !

قد لا أزال أنسى و أتصرّف كما لو أننا اثنين ..

غير أني أستدرك غيابك و أكتفي بقطعة بسكويتٍ واحدة !

ثمّة خيبةُ لا تنام ..

تُسدِل جفنيها أحيانًا و تتظاهر بالنوم !

ما أن يراودنا حلمٌ جديد ..

حتى يشخص بصرها و تُفزِعنا !

أيها الحائط ..

أعرني صمتك و صلابتك !

أيتها الكياسة ..

أين أنتِ ؟

أيتها الجلادة ..

تعالي فوراً .. ثمّة مكروهٌ في ضيافتي !

سأكتفي بابتسامة قصيرة ..

سأُخرِس صوت الفرح الجهور ..

و أستبدله بإيماءة باردة !

سأُقلّد وجه الأموات ..

وسكون النظرة السارحة ..

سأتثاءب وأنام !

فأعرني وجهك !!

الآن .. لا يسعني أن أقول (اختلاف) ..

لا يسعني أن أقول (نصيب) ..

لا يسعني أن أقول (نهاية) ..

لا يسعني إلا أن أقول (ج ب ا ن) !

لا تأمن هدوئي ..

ولا تغرّنّك تفاصيلي الجميلة ..

ابتسامتي الخجلى ..

وجهي الطفولي ..

رخامة صوتي ..

مُخيفةٌ إذا تألّمت ..

أُشعِل حرائقي في كل شبرٍ من حقول حكايتنا ..

و أضرب بمبادئي عرض الحائط ..

و أُقهقه ببلادة المجانين !

أنا امرأةٌ لا تغفر ..

تُخدِّر خوفكَ من فقدانها بعفوٍ كاذب ..

و تحيك قمصان انتقامها على مهل ..

و ترتديها في زمنٍ آخر ..

حدَّ أنك حينها قد لا تتذكَّر السبب !!

عندما أنسحب ..

ثق تمامًا .. بأن سبب ذلك قد حدث قديمًا ..

ذلك أن فارقًا زمنيًا يفصل بين صدمتي و انسحابي ..

يشبه الفارِق الزمني بين حدوث الانفجار وسرعة انتقال صوته في الهواء !

يعود ذلك إلى دراميَّتي التي أتيبَّس معها ..

و أستغرق وقتًا لأُدحرِج عينيَّ في الفراغ !

أرأيت بروج الحب التي شيّدتُها على أرضك ؟

إنها تتهاوى الآن ..

و عدد ضحاياها (واحدة) يتكرر موتها كل ثانية !

هذه القضمة الوحيدة في طرف الرغيف ..

و الشاي الممتلئ البارد ..

هما المشهد الذي توقّف عنده الحب ..

و تلقّى القلب صفعته الأخيرة !

و هذا النبض الحاد في عنقي ..

و هذان الحاجبان المنعقدان ..

و هذا الشحوب ..

و هذه الارتعاشة في يدي ..

و هذه الأنفاس المختنقة ..

و الدموع الصامتة ..

أعرف جيداً كيف أثأر لها !

لا مناص من الألم ..

أنا فقط أُقلّص من خسائري إلى الحدّ الأدنى ..

الذي يجعل من استمرار الحياة بعدك أمراً ممكنًا !

كنتُ أعلم أنها لا تكتمل ..

بأيّ حالٍ من الأحوال هي لا تكتمل ..

غير أنها جاءت ناقصةً جداً حد الإعاقة !

سأُغلق صنبور كرامتي الذي يقطر منذ عام ..

ربما لن يكون بمقدوري أن أسامحك على عشمٍ تبدّد هكذا ..

ببساطة قرطاسٍ ذهب مع الريح ..

مجرّد ترهاتٍ ترقع بها شِقّ خيبتك الواسع !

أطلقتُ رصاصةً في رأس ثقتي بالآخرين ..

حتى أنت !

لستُ نادمةً إلا على رأسٍ أثقلني ..

فأملتُه على كتفك !

توقفتُ عن الحب ..

عندما أدركتُ بأن الحب والزواج في بلادي كلمتان متنافرتان ..

إذا حلّ الحب فرّ الزواج ..

و إذا حلّ الزواج فرّ الحب !

توقّفتُ عن الحب عندما أدركتُ بأنه ربويّ ..

يستردّ منا أكثر مما كان يمنحنا !

توقفتُ عن الحب ..

لأنه يجعل سعادتي و تعاستي تحت رحمة مخلوقٍ آخر !

الخيبات المتتالية ..

هي زر إيقاف الحب !

في ليلةٍ باردة و مُقمِرة كهذه ..

أحمل الفانوس والوسادة ..

و أنزوي في ركنٍ على سطح دارنا ..

أتأرجح كما لو أني سعيدة ..

كما لو أني لا أنتظر أحداً ..

كما لو أنه لا شيء ينقصني !

ما مِن أحد في مداري ..

وحيدة كإلكترون بائس ..

أدور حول نواة حزني الهيدروجيني ..

و أحلم بإلكترون صغير يقول (ماما)

ثمّة وحدة (إرادية) ..

نختارها لأنفسنا ..

عندما نُلدَغ من جُحر الثقة مرتين !

الآن .. وأنا وحيدة ..

أشعر بتحرّري من كل المخاوف ..

أشعر أني أقلّ وزنًا ..

و أكثر أمانًا ..

لا يلوي ذراعي رجلٌ ..

و لا تقصِم ظهري خيانةٌ أو غياب !

الآن وأنا وحيدة ..

أنام ملء أجفاني ..

لا أحد يهجرني في الفراش ..

ولا ملائكةٌ تلعنني !

عندما لا يكون في حوزتنا ما نخشى خسارته ..

نبدو أقوى ..

وتبدو الحياة أسهل !

أُشيّع حلمي الأكبر ..

إلى مثواه الأخير ..

و أتفقّد ضريح حكايتنا التي أُغتيلت في عمر الزهور ..

و أُقرِؤها السلام !

علمتُ فيما بعد ..

أن النقيصة الوحيدة التي كانت تعيبني ..

هي أني (مباحة) !

لستُ حزينة ..

ولا أمارس الامتعاض ..

أنا أفكر ليس إلا ..

كيف يمكنني أن أتفاءل بالآتي ..

دون أن تنزلق أقدامي في فخّ التكرار ؟

لم أعد أريد رجلاً مكتملاً ..

أريد رجلاً لا يُشبهك وحسب !

لم أتوانَ في غيابك عن واجبي في حق الأنوثة ..

مازلتُ أصنع معروفًا في المرآة كل صباح ..

و أبتسم لأربعمائة وجهٍ متثائب !

و أُلقي التحية على الطيور و الأشجار والجدران ..

و أُحبّني كما لم تحبّني أنت !

من أعلى نقطة في دارنا ..

أقف في وجه الريح ..

أحتضن الكون ..

و أبتسم ..

لا أخشى المرتفعات ..

إنما أخشى أن تعود فتؤلمني !

إلى قدرٍ لا أعرفه و لا يعرفني بعد ..

ما زلتُ أضع صخرةً تلو الأخرى ..

لأعبر الماء الآسن إليه ..

دائمًا هنالك شخصٌ رائع لم ألتقِ به بعد !

ستنتهي عنده أوجاعي ..

و أستردّ فرح الأعوام الفائتة !

أربط أقدام حلمي بكرةٍ ثقيلة ..

كي لا تعاود الطيران ..

لا يبدو الجو صحواً بما يكفي لتحلّق في سلام !

هذا السلام الذي أعيشه الآن ..

هو واو العطف المؤمنة ..

ما بين خذلانك (و) روعة الآتي !

مصلوبٌ أنت في قلبي ..

تأكل الطير من رأسك !

توضّأتُ منك .. واستقبلتُ قبلة النهاية ..

و صليتُ عليك أربعًا بتسليمةٍ واحدة !

أردتُ أن أبدو في آخر لقاءٍ لنا أجمل من المعتاد ..

شيءٌ من كيد النساء ..

أحاول به غرس بذرةٍ من ندمٍ في صدرك ..

تتكفلها الأيام بالسقاية !

لم أودّعك رغم يقيني بأنه آخر مشهدٍ يجمعنا ..

ربما لأني أحب النهايات المفتوحة ..

تلك التي تحتمل العودة أو المُضيّ في لُجّ الغياب !

هل أخبرتُك ألا حياة بعدك ؟

عفواً كنتُ أكذب !

السيد (قَش) .. والآنسة (قداحة) !

كان قريباً جداً ..

يحتضن خوفها ..

يسقي الحقول في صدرها ..

يتقوّس مُتقزّحاً على أرضها ..

يتلثّم ..

يبارز حزنها !

يُجعّد صفحات ألمها ..

يُسفلِت الطريق إلى حلمها ..

و لـمّا استخارت .. انصرف !!

كانت تكتب رسائلها الورقية إليه وحده ..

و تُعلّقها في طريقه على مقبض الباب ..

كان يتجاهلها تماماً ..

و يتركها مُعلّقةً لأيام ..

حتى تعود و تستردّها !

الآن هي تكتب للعالم أجمع ..

و درجها مزدحمٌ برسائل قرّائها ..

تجيبهم جميعاً دونما استثناء ..

و تتجاهله وحده !

كان يتجاهل اتصالها ..

و يُغلِق هاتفه قبل أن تُتِمّ جملتها ..

و يُسرِف في لعبة الغياب ..

الآن هو يستعين بكاهن ..

ويكفر بالله ليتقصّى أخبارها !

صفعها ..

فاحمرّ خدّها ..

فقامت وصفعت خدّها الآخر ..

ثم خرجت مبتسمةً ..

لتُوهِم الآخرين في الخارج أنه كان يُقبّلها ..

و أن تلك هي حُمرة الخجل !

يحتضنها ..

يدسّ يده في جيب عمرها ..

يختلس بضع سنواتٍ .. ثم يرحل !

يستمدّ قوّته من ضعفها ..

و تستمدّ ضعفها من الحب ..

و النتيجة : (ورقة خضراء و طفلين في غير حضانتها) !

قال : (أنتِ كنزٌ) ..

و دفنها !

تجاوَزَتْه قبل أن يتجاوزها ..

و ظفرت بكرامتها ..

الخيبة أخفُّ وطأً من الإهانة !

قال : (أنا شُجا) ..

و هرب قبل أن ينطق العين ..

لأن ظلاً تراءى له من خلفها !

قال : (وداعًا) . .

قالت : (كما تشاء) !

لوّحت له مُبتسمةً . .

و أغلقت الباب خلفه بهدوءٍ . .

ثم اتصلت بالإسعاف !

تروقها قُبلة الثأر التي يُقاطِع بها حديثها الرسمي . .

تلك التي تفقد معها أحد أقراطها . .

وتسقط من خلفها آنية الزهور وتنكسر !

قالت : أنا شيطانٌ في قلبه رحمة !

قال : بل ملائكةٌ في قلبها قسوة !!

نامت . . ونام . .

و استيقظت تبحث في تفسير الأحلام . .

عن رجلٍ بعثرها و انصرف !

يسألها ساخراً :

ــ كيف أنتِ من بعدي ؟

ــ اطمئنّ . . لم تكن آخر السيئين !

في عيد الحب . .

قالت له : طلّقني لأجد مناسبةً سعيدة أحتفل بها العام القادم !

الحياة من علوّ طائرة

نيابةً عن كل النساء . .

عودوا رجالاً . . لنعود نساءً . .

أَرُونا كيف (لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَة) . .

أثبتوا أحقّيّتكم بالقوامة !

نفتقر إلى الرجل الذي لفرط حكمته و تعقّله نخجل من أنفسنا . .

هنالك كائنات يُصنّفها العالم (رجلاً) لأنها تزور الحلاّق !

عودوا رجالاً لنُحبّكم . .

ساعدونا لنُحبّكم . .

ليس بمقدورنا أن نحبّ كائنًا لمجرد أن له شوارب !

نريد أن نستشعر اعوجاجنا باستقامتكم !!

أحياناً ..

فاقد الشيء يمنحك ضعفه ..

ذلك أنه يمنح نفسه معك ما فقده !

الحب كالنبتة ..

تقتله كثرة السقاء ..

الحب يموت بالإشباع ..

ويربو باللوعة والتجويع !

أقصر الطرق إلى قلب المرأة ..

أن تداعب طفلها !

استعدادنا للحريق ..

و تأمين طفّاية لذلك ..

لا يعني أبداً أننا متشائمون وننتظر حريقاً !

الباب الذي (يُمكِن) أن تأتيك منه الرياح ..

لا تغامر بفتحه !

أقلّ وطنية يمكن أن نمثّلها ..

ألا نبصق في الطرقات ..

أقلّ وطنية يمكن أن نمثّلها ..

أن نُلقي بعلبة المشروب الفارغة في سلّة المهملات !

القناعة ليست أمراً جميلاً في كل الأحوال . .

هي نوعٌ من الركود والاستسلام أحيانًا . .

و تبريرٌ مُهذّب للتقاعس !

في داخل كل امرأة . .

مهما بلغت من العمر . .

امرأةٌ أخرى تُشبهها . .

بجديلتين . . وثوبٍ قصير . .

وديعةٌ . . فمها صغير . .

ترمش بحياءٍ . .

وتلعق الحلوى . .

تذكر ذلك جيداً !

يتوقف الرجل عن الحب . .

عندما تعترف له المرأة بأنها تبادله نفس الشعور !

و تتوقف المرأة عن الحب . .

عندما يبدأ الرجل في إحصاء عيوبها !

إنّ رجلاً صفعته امرأةٌ قبلكِ . .

سيظلّ يردّ صفعتها على وجهكِ (أنتِ) !

خيط الرجل مع المرأة التي يحبها ..

لا ينقطع بزواجه من أخرى !

الحب :

هو الوقت الذي يستغرقه الرجل قبل الوصول إلى الفراش !

لا تُعلّقي كل أمنياتك على مشجب رجل ..

قد يسقط يومًا عن حائط أيامك !

الرجل إضافة جميلة إلى حياتنا ..

لا ينبغي أن يتجاوز كونه (إضافة) !

يحدث أن تكون الـمرآة مُتّسخة ..

فتُسيء إلى حقيقة الأشياء !

(القُبلة) ..

هي الترمومتر الحقيقي لقياس درجة حرارة الحب !

إحدى علامات محبة الرجل : (سخاءه) . .

إذا أمسك يده فقد جفّ الحب في صدره !

إذا قال الرجل : (لن أنساكِ إلى الأبد) . .

هو يقصد أنه سيتذكركِ شهرين على الأكثر !

و إذا أقسم أنه مُخلِصٌ لكِ . .

فإنه يقصد أنه يتحدّث عنكِ لدى الأخريات !

أن تحِبّ . .

يعني أن تجعل موتك تحت أصابع مخلوقٍ آخر !

مع الرجل . .

ليس عيبًا أبدًا أن تفكري بأنانية !

الاعتراف بالكذب . .

وجهٌ من وجوه الصدق !

أصدق ما نكون . . عندما نعترف بأننا نكذب . .

و أكذب ما نكون عندما نبادر بالقسم دون أن يستحلفنا أحد !

(الغموض) حيلة الأجوف . .

الذي لا يملك شيئًا قيّمًا لإظهاره !

ينام الرجل قبل المرأة إذا توقف عن حبها . .

و تنام المرأة قبل الرجل إذا تأكدت أنه يحبها !

في الحب . .

ما أن (يَسخَر) طرفٌ من الآخر . .

حتى تتقدّم الخاء على السين و (يَخسَر) !

أنت لن تحصل على (أي) شيء ..

إذا أردت (كل) شيءٍ دفعةً واحدة !

(السعادة) ..

هي أن تتصالح مع واقعك أيًا كان !

لا ترفع من سقف توقّعاتك الوردية ..

حتى إذا ما وقع على رأس تفاؤلك ذات خيبة ..

جاء وقوعه محتملاً غير قاتل !

ثِق تماماً ..

بأنكَ حين تنتصر في الحوار لنفسكَ على امرأةٍ تحبكَ ..

فقد خسرتَ قلبها !

الحب الحقيقي ..

هو ذلك الذي لا تستطيع معه أن تتجاوز الشخص الذي أحببتَه ..

حتى لو التقيتَ بشخصٍ آخر بعده ..

أكثر منه جمالاً .. و جاهًا .. ومالاً .. ولباقةً ومعرفة !

الحب في الشتاء (معِطَف) ..

و في الصيف (مطر) !

إنّ رجلاً يعلم بحزنكِ وينام ..

لا يستحقكِ بأيّ حالٍ من الأحوال !

للأحلام نَفَسٌ قصير ..

ينقطع إذا واصلنا اللحاق بها !

أسرارنا سلاح ..

قد يُشهِره نحونا .. ذلك الذي هرعنا إليه ذات ثقة !

قُل خيراً .. أو اقرأ !

جهلك لن تخبّئه ربطة عنقٍ أنيقة ..

و لا ساعةٍ ثمينة ..

و لا سيارةٍ فارهة !

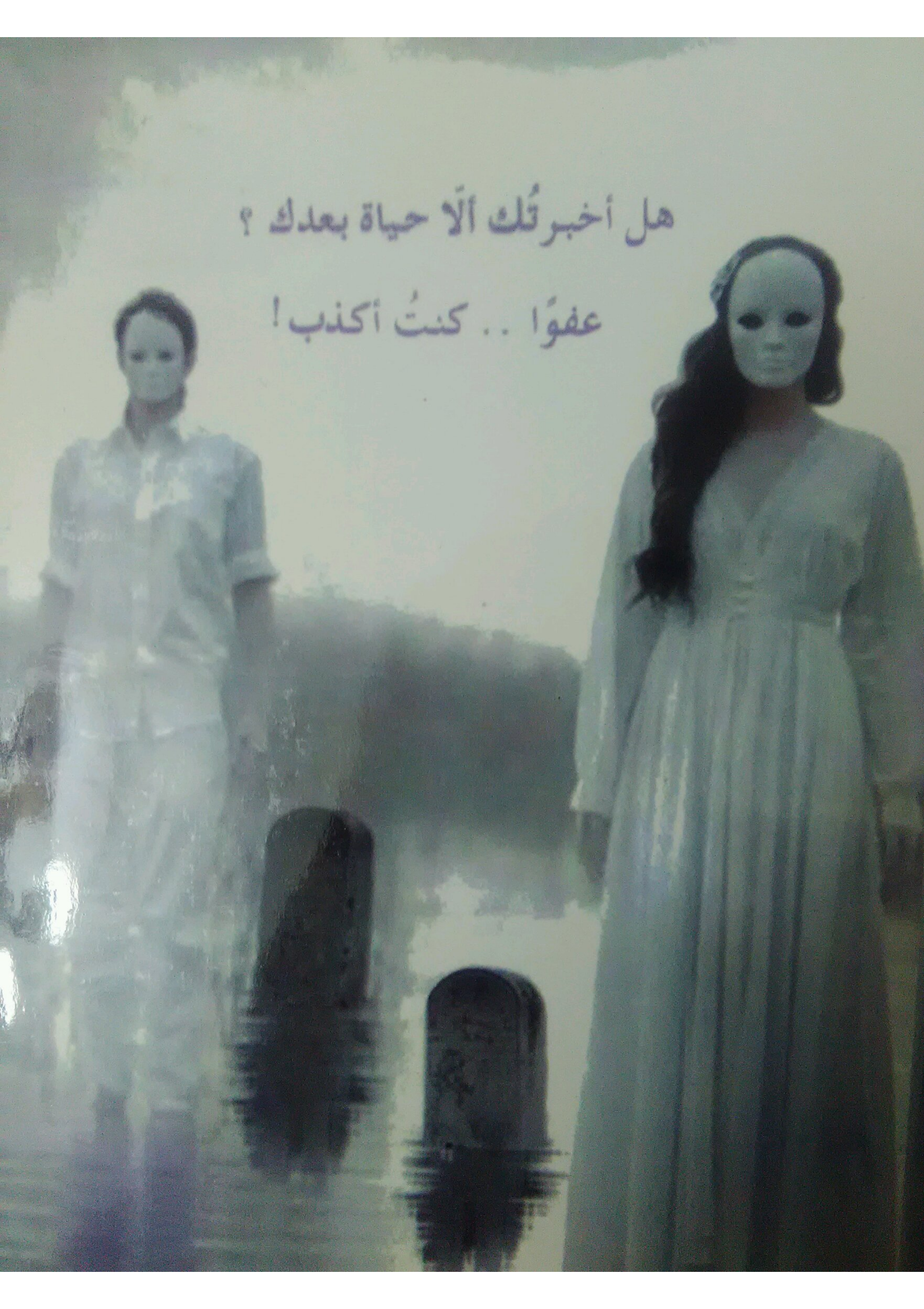
نحن نتيح للآخر أن يتمادى في الإساءة إلينا ..

عندما نخشى ألا نحصل على فرصة أخرى بعده !

بينما نسيء إلى الآخر ..

عندما نثق بأن هنالك فرصٌ أخرى أفضل من بعده !


كتاب & رواية
في كل قلب مقبرة
ندى ناصر
الرمحي أحمد
facebook.com/groups/
bookbooknovels/


هل أخبرتُك ألّا حياة بعدك ؟
عفوًا .. كنتُ أكذب !